المسائلُ العقديةُ المتعلقةُ بالسمواتِ وأجرامِ الفضاءِ في الحياةِ الدُنيا

دراسة في ضوء الكتاب والسنة

د. عبدالله بن علي الجودة

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين

بجامعة نجران

ملخص البحث

هذا البحث يتحدث عن مسائل العقيدة المتعلقة بآيات الله سبحانه في السماء وأجرام الفضاء من خلال نصوص القرآن والسنة، وبيان ما فيه من الدلالات الإيمانية والاعتقادية، وما اعتقده بعض الناس في تلك الآيات من أخطاء وأباطيل.

وقد جرى الحديث فيه في المبحث الأول عن المسائل العقدية المستنبطة من النظر الصحيح في السَّمَوات وأجرام الفضاء، فشمل الحديث عن المسائل المتعلقة بخلق السَّمَوات بالحق وعن إحكام خلق السَّمَوات من حيث بنائها ورفعها وحفظها وتزيين السماء الدنيا بالنجوم والمجرات.

وتناول كذلك الحديث عن المسائل المتعلقة بالشمس والقمر من حيث خلقهما وجعلهما آيتين من آياته سبحانه، ثم عن تسخيرهما للجري والحركة في الكون بشكل دقيق وبحساب منتظم، وما نتج عن ذلك من المصالح والفوائد المتعددة الحاصلة للإنسان في الأرض ولبقية الكائنات الحية الأخرى أيضا من الحيوان والنبات، سواء من الضوء المنبعث عن الشمس والقمر أو من الحساب الفلكي والتقويم الزمني المستفاد من الحركة الدقيقة المنتظمة لها، وكذلك معجزة انشقاق القمر.

وتناول كذلك الحديث عن المسائل المتعلقة بالنجوم والكواكب من حيث تسخيرها للحركة والسبح في الفضاء بتقدير وتصميم متقن، ومن حيث تزيين السماء الدنيا بها وجعلها رجوما للشياطين، ومن حيث جعلها أيضا وسيلة للاهتداء ومعرفة الجهات والحساب الزمني أيضا.

وجرى الحديث في المبحث الثاني عن الاعتقادات الباطلة المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء، من حيث عبادتها من دون الله تعالى، أو نسبة النعم إليها من دون الله تعالى، أو اعتقاد تأثيرها في سعادة الإنسان وشقاوته، أو اكتساب شيء من العلوم عن طريق النظر في حركاتها دون برهان شرعي أو عقلي ونحو ذلك.

وتضمن الحديث في البحث إبراز وإظهار الدلائل الإيمانية المستفادة من دراسة آيات الله سبحانه في السماء وأجرام الفضاء، كما تضمن أيضا نقل ما تيسر من الشواهد العلمية والمعرفية القديمة والحديثة، التي تظهر دلالات النصوص وتبين أوجه دلالاتها الاعتقادية على الإيمان بالله تعالى وبصفاته المتجلية في الكون من العلم والخبرة والحكمة والإبداع والعظمة والرحمة والقدرة والوحدانية وغير ذلك من الصفات الإلهية، والله الموفق.

Abstract

The research talks about the faith issues related to the signs of Allah in the skies and celestial bodies through the texts of Quran and Sunnah. The research clarifies the cues of faith and belief indications as well as vanities and errors that some people accepted as true about the skies and celestial bodies.

The research discussed, in the first section, the faith issues that are derived from a proper contemplation in the skies and celestial bodies. The discussion included the issues related to the creation of the skies by right and the precision of skies creation in terms of constructing, lifting, keeping, and decorating the lower sky with stars and galaxies .

Furthermore, the research talks about the issues related to the sun and the moon in terms of their creation and making them two signs of Allah. Then, it discussed, how they are harnessed to accurately run and move in the universe following a precise system. And so the miracle of moon spliting

The discussion also included the multiple benefits and interests, which happened to humans in the earth and to other livings such as plants and animals; either from the light of sun and moon or the astrological calculation and calendar, which result out of their accurate and systematic movement.

The research, also, discussed the issues related to stars and planets. First, in terms of harnessing them to move and swim in the space in a highly rated design. Then in terms of the decoration of the lower sky as well as being as Satan's missiles. Finally, in the terms of making them as a guide to know the directions and time calculation.

In the second section, the research discussed the vanities related to sky and celestial bodies. This is in terms of worshiping them besides Allah, ascribe the gifts of Allah to them, believe of their effects on the happiness and wretchedness of humankind, or gain some knowledge through the consideration of their movement without a legitimate and rational proof etc.

Finally, the research highlighted and revealed the evidences of faith that are learned from the study of signs of Allah in the sky and celestial bodies. It also conveyed the possible scientific and cognitive evidences, ancient or modern ones, which show the meanings of texts and the path of their ideological implications on faith in Allah and His attributes manifested in the universe such as science, experience, wisdom, creativity, greatness, compassion, ability, unity and other divine attributes.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه :-

أما بعد :

فإن الإيمان بالله تعالى هو أصل العقيدة الإسلامية، ودراسة آيات الله عز وجل في مخلوقاته من أعظم الأسباب الفاعلة في زيادة الإيمان وتثبيته كما أنها من أهم الوسائل لتجلية حقائق الإيمان المبثوثة في أرجاء الكون وآفاقه ، مما يزيد الإيمان ويوصل إلى درجة اليقين كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام:٧٥] وأهمية مثل هذه الدراسات لا تقتصر على المسلمين فحسب ، بل تتعداهم إلى غير المسلمين ممن تشكل هذه الدراسات وما تسفر عنها من حقائق أعظم الحجج والبراهين المقنعة بقضية الإيمان بالله جل وعلا.

أهمية البحث وسبب اختياره:

ولما كان الأمر بهذه الأهمية، فقد أحببت بكتابتي لهذا البحث أن أسهم في كشف وتجلية آيات الله عز وجل في السماء وأجرام الفضاء من الشمس والقمر والنجوم والكواكب التي ورد التنويه بذكرها والإشارة إليها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وسعيت كذلك لبيان ما وقع فيه بعض الناس من أباطيل متعلقة بهذه الآيات الكونية، راجياً أن يكون ذلك مساهمة طيبة في مجال الإيمان والعقيدة ، وليكون ذلك أيضاً مساهمة متواضعة في تجديد عرض قضايا الإيمان والعقيدة في عصرنا الحاضر، مساهمة قائمة على التأصيل الشرعي المنضبط بأدلة الكتاب والسنة.

منهج الدراسة :

يقوم منهج الدراسة في هذه البحث على المنهج الاستقرائي ثم المنهج التحليلي ، حيث قمت باستقراء آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن السَّمَوات وأجرام الفضاء ـ في الحياة الدنيا ـ وكذلك تتبعت ما ورد في السنة من ذلك، واستخراج النصوص المتعلقة بالموضوع .

وبعد مرحلة الجمع، قمت بتصنيف النصوص المتعلقة بالبحث حسب دلالاتها الموضوعية، فأسفر ذلك عن تقسيم موضوع الدراسة إلى مبحثين بما يندرج تحتهما من مطالب .

وفي منهج تحليل النصوص ودراستها قمت بسبر ما أمكن من كتب التفسير واللغة وشروح الأحاديث والعقيدة وعلوم القرآن وكتب الإعجاز وغير ذلك؛ لأستخرج منها ما يتعلق بموضوع البحث من تجلية آيات الله في السماء وأجرام الفضاء وتوضيحها وبيانها وبيان ما تدل عليه من الدلالات الإيمانية الاعتقادية، وبيان ما ألحقه كثير من الناس من أباطيل بها.

وقد عقبّتُ على ما قد يحتاج لتعقيب وتوضيح مما أفاده علماؤنا رحمهم الله .

وقد سلكتُ أيضا المنهج العلمي المعروف في نقل النصوص وتوثيقها، وعزو ما يحتاج إلى عزو من نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

حدود البحث:

ونظرا لاتساع هذا الموضوع، ولكثرة آيات الله تعالى في الكون، فقد اقتصرت في حديثي عن هذا الموضوع على بيان المسائل العقدية المستنبطة من نصوص الكتاب والسنة النبوية المتعلقة بالسَّمَوات وأجرام

الفضاء ـ في الحياة الدنيا ـ مما يبين آيات الله عز وجل فيها، أو مما يبين الأخطاء الاعتقادية المتعلقة بهذا الموضوع، ولم أتعرض لبيان المسائل العقدية المتعلقة بها في اليوم الآخر من نحو مصير السَّمَوات والكواكب والنجوم يومئذ وغير ذلك؛ نظرا لما في ذلك من التطويل؛ مما لا يحتمله مثل هذا البحث، فلعله يفرد ببحث آخر بمشيئة الله تعالى.

الدراسات السابقة:

تحدثت كتب العقيدة بشكل عام عن آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس، وذلك للاستدلال بها على ربوبيته تعالى ومن ثم استحقاقه سبحانه للعبادة وحده دون من سواه.

كما تحدث كثير من المعاصرين عن الآيات الكونية، وما فيها من الإعجاز العلمي سواء في مؤلفات مفردة أو رسائل علمية، أو في مواقع النت وغير ذلك، ومن أمثلة ذلك:

١. تفسير الآيات الكونية د. زغلول النجار.

٢. من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء والأرض في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، أد. حسن أبو العينين.

٣. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق، أ.د محمد راتب النابلسي.

٤- موسوعة الإعجاز العلمي ، يوسف الحاج أحمد.

وبحسب علمي ـ والله أعلم ـ لم أطلع على من أفرد الحديث عن المسائل العقدية المتعلقة بالسَّمَوات وأجرام الفضاء من الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فلعل هذه الدراسة تكون مساهمة وإضافة في هذا الباب، وبالله التوفيق.

خطة البحث

وتحتوي على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

فالمقدمة ذكرت فيها أهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وحدود البحث وخطتة.

المبحث الأول : المسائل العقدية المستنبطة من النظر الصحيح في السَّمَوات وأجرام الفضاء

المطلب الأول : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في السَّمَوات

المطلب الثاني : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في الشمس والقمر

المطلب الثالث : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في النجوم والكواكب

المبحث الثاني : الاعتقادات الباطلة المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء

المطلب الأول: ـ اتخاذها آلهة من دون الله تعالى وصرف أي عبادة لها.

المطلب الثاني ـ اعتقاد أزلية الكون

المطلب الثالث: ـ نسبة النعم إليها

المطلب الرابع: الاعتقاد المتوهم في دلالتها على ما يقع في الأرض من أحداث أو تأثيرها في ذلك

المطلب الخامس: اعتقاد اليهود بالتعب في حقه سبحانه عند خلق السَّمَوات والأرض

وفي الخاتمة ذكرت أهم نتائج البحث وأهم التوصيات وسردتُ قائمة المراجع التي اعتمدتُ عليها .

المبحث الأول

المسائل العقدية المستنبطة من النظر الصحيح في السَّمَوات وأجرام الفضاء

تمهيد:

وهذا النظر قد أمر الله تعالى به، وهو يدل على أعظم الأصول في الاعتقاد في ديننا الإسلامي، ألا وهو الإيمان بالله عز وجل، وبيان عدد من صفاته العظيمة كالقدرة والعلم والحكمة والرحمة وغير ذلك.

قال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: ١٠١].

وقال سبحانه: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٨٥].

وقال سبحانه: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: ٦].

فالسماء وما فيها من أجرام هي من آيات الله تعالى، قال سبحانه: {إِنَّ فِي السَّمَوات وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الجاثية: ٣]، وقال سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [فصلت: ٣٧].

والآية في اللغة: العلامة(١)، ومعنى آيات الله: أي: العلامات الدالة على الله تعالى وصفاته العظيمة، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[آل عمران: ١٩٠]، أي: علامات كونية قدرية، يعرف بها أصحاب العقول السليمة أن خالقها هو الرب المعبود وحده جل وعلا(٢).

(١) لسان العرب (١٤/ ٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٥).

وبالتأمل في نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الموضوع نستنبط من مجموعها الإشارة والدلالة على أصلين اعتقاديين عظيمين:

أولهما: الإيمان بالله تعالى، إذ يستحيل وجود هذه المخلوقات بدون الخالق الصانع سبحانه. ومن أوكد القواعد العقلية الشرعية استحالة وجود المصنوع بلا صانع، والمخلوق بلا خالق، والمفعول بلا فاعل.

ثانيهما: الدلالة على عدد من صفات الله عز وجل، من خلال النظر في هذه المخلوقات، فهي تدلنا على صفات العلم والقدرة والحكمة والرحمة والإبداع والخبرة والغنى والقوة والإرادة ونحو ذلك.

ويتجلى بيان هذه الآيات الدالة على الله عز وجل في المطالب التالية:

المطلب الأول : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في السَّمَوات

المسألة الأولى: آية خلق السَّمَوات بالحق

السماء أعظم مخلوق يشاهده الناس(١)، قال سبحانه مبينا خلقه للسموات والأرض بالحق:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ...} [الأنعام:٧٣].

قال أبو حيان رحمه الله مبينا دلالة ذلك على وجود الله تعالى وعدد من صفاته العظيمة: {بالحق}: أي: بما هو حق لا عبث فيه ولا هو باطل،أي: لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً بل صدرا عن حكمة وصواب؛ وليستدل بهما على وجود الصانع إذ هذه المخلوقات العظيمة الظاهر عليها سمات الحدوث: لا بد لها من محدث واحد عالم قادر مريد سبحانه وعلا (٢).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٢٣).

(٢) تفسير البحر المحيط – (ج ٤ / ص ١٦٤).

وعندما ينظر الناس إلى خلق السماء فهم يعاينون أثر الخلق ولم يشهدوا كيفيته، لأن أثره ينبئ عن عظيم كيفيته[1].

والخلق من أعظم أدلة الإيمان بالله سبحانه، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [النحل: ١٧] حيث أخبر تعالى أنه خالق السَّمَوات والأرض ومخرجهما إلى الوجود فقال سبحانه: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوات وَالأَرْضِ....}[إبراهيم:١٠].

قال الإمام الطبري رحمه الله: ويعني بقوله: "فاطر السماوات والأرض": مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما، .... عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما "فاطر السماوات والأرض"، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: "أنا فَطَرتها"، يقول: أنا ابتدأتها[2].

قال أبو هلال العسكري[3]: الفرق بين الفطر والفعل: أن الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، كأنه شق عنه فظهر، وأصل الباب الشق، ومع الشق الظهور، ومن ثم قيل: تفطر الشجر: إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده

---

(١) أنظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ١٥).

(٢) تفسير الطبري - (ج ١١ / ص ٢٨٣)بتصرف يسير.

(٣) أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر.نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الاهواز.توفي بعد ٣٩٥ هـ من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (معجم - خ) في اللغة، و (جمهرة الامثال - ط) و"الفروق". الأعلام للزركلي - (ج ٢ / ص ١٩٦).

إياهم كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود(١).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[البقرة:١١٧].

قال الإمام الطبري رحمه الله: يعني جل ثناؤه بقوله:{بديع السَّمَوات والأرض}: مبدعها.... ومعنى "المبدع": المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد(٢).

وقال سبحانه مبينا أن أصل السماء كان دخانا:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[فصلت ١١،١٢].

ودلتنا الآية على أنه سبحانه خلق السَّمَوات في مدة يومين، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} أي: ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين ....{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} أي: ورتب مقررا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو(٣).

---

(١) الفروق اللغوية – (ج ١ / ص ٤٠٧).
(٢) تفسير الطبري – (ج ٢ / ص ٥٤٠).
(٣) تفسير ابن كثير – (ج ٧ / ص ١٦٧).

المسألة الثانية : آية إحكام خلق السَّمَوات وحفظها وتزيين السماء الدنيا

وقد ذكرت النصوص الكريمة في ذلك ما يلي:

أ . بناؤها ورفعها وإحكام خلقها:

١. بناؤها: قال سبحانه: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...)[قٓ:٦] وقال سبحانه أيضا: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذريات:٤٧]. ومعنى: {بنيناها بأيد} أي: بقوة. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ومنصور وسفيان[١].

٢. رفعها: قال سبحانه: {أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا}النازعات:٢٧.٢٨.

والسَّمْكُ: السَّقْف[٢]، والقامة من كل شيء[٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:(رَفَعَ سَمْكَهَا) يقول: بُنيانها[٤].

وقال الشوكاني رحمه الله: {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} أي: جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض، ورفع سمكها أي: أعلاه في الهواء، فقوله: {رَفَعَ سَمْكَهَا} بيان للبناء...ومعنى {فسواها}: فجعلها مستوية الخلق معدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا شقوق[٥].

---

(١) أنظر: تفسير الطبري – (ج ٢٢ / ص ٤٣٨)، وتفسير الألوسي – (ج ٢٧ / ص ١٧).

(٢) لسان العرب – (ج ١٠ / ص ٤٤٤) وقال عقبه: وقيل: هو من أَعلى البيت إِلى أَسفله، والسَّمْكُ القامَة من كل شيء بعيد طويل السَّمْكِ.

(٣) المعجم الوسيط – (ج ١ / ص ٩٣٣)وفيه أن استعمال لفظ:(السمك) الآن للدلالة على غلظ الشيء و ثخانته اصطلاح محدث.

(٤) تفسير الطبري – (٢٤ / ٢٠٦).

(٥) فتح القدير – (ج ٥ / ص ٣٧٨).

وقال سبحانه مبينا رفعه للسماء:{وَالسَّمَاء رَفَعَهَا ...}[الرحمن:٧]. وقال أيضا حاثًّا على النظر في هذه الآية:{أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ}[الغاشية:١٧،١٨].

إذن تدل الآيات الكريمة أن الله سبحانه رفع سقف السماء الذي بناها وأعلاه، وقد سمى الله تعالى السماء سقفا في قوله سبحانه:{وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}[الأنبياء: ٣٢].

ونفهم من هذا أن الله سبحانه بنى السماء بناء ذا جرم مادي، ويفهم هذا أيضا من نصوص أخرى دلت على أن للسماء أبوابا تفتح وتغلق كما في قوله سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ...}[الأعراف: ٤٠]. وكما في حديث المعراج المشهور وفيه أن جبريل كان يستفتح في كل سماء فيفتح له وللنبي ﷺ[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: قال القاضي: وفي هذا أن للسماء أبوابا حقيقية وحفظة موكلين بها[٢]. وبمثل ذلك قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث [٣].

وفي كيفية رفع السَّمَوات يقول سبحانه:{اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...}[الرعد:٢].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة ، باب المعراج (٣ / ١٤١٠)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء (١ / ١٤٩).

(٢) شرح النووي على مسلم [جزء ٢ – صفحة ٢١٢] والقاضي المذكور في كلامه هو القاضي عياض رحمه الله، وله شرح لصحيح مسلم اسمه: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، وكلامه فيه: (١ / ٣٢٨)وقد اطلعت عليه مؤخرا.

(٣) فتح الباري – ابن حجر [جزء ٧ – صفحة ٢١٧] .

وفي تفسير هذه الآية رأيان: قال الخازن رحمه الله: وفي قوله: {ترونها} قولان: أحدهما: أن الرؤية ترجع إلى السماء، يعني: وأنتم ترون السماوات مرفوعة بغير عمد من تحتها، يعني ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها، والمراد نفي العمد بالكلية. قال إياس بن معاوية[1] : السماء مقبية على الأرض مثل القبة، وهذا قول الحسن وقتادة و جمهور المفسرين[2]، وإحدى الروايتين عن ابن عباس، و القول الثاني: إن الرؤية ترجع إلى العمد، والمعنى أن لها عمداً ولكن لا ترونها أنتم....وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الأخرى عن ابن عباس، والقول الأول أصح[3].

ومن قال: لا عمد أصلا، قال: السَّمَوات مرفوعة بقدرة الله تعالى[4].

٣ ـ إحكام خلقها: قال تعالى:{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً}النبأ:١٢.

قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره:(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ): وسقفنا فوقكم، فجعل السقف بناء، إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت – وهي سماؤها – بناءً وكانت السماء للأرض سقفا، فخاطبهم بلسانهم إذ

(١) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني أبو واثلة البصري القاضي المشهور بالذكاء ثقة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة. تقريب التهذيب١/ ١١٥.

(٢) نقل المفسرون عن قتادة وإياس بن معاوية أنه لا عمد أصلا للسموات، وإليه ذهب ابن كثير والبغوي والجلالان والثعالبي والرازي والسعدي والشنقيطي، واختاره ونسبه للجمهور ابن عطية وابن حيان والخازن وابن عادل. ويعلم ذلك من الرجوع إلى تفاسيرهم للآية الكريمة المذكورة أعلاه.وقد توقف الإمام الطبري رحمه الله عن القطع بأحد القولين.

(٣) تفسير الخازن – (ج ٤ / ص ٢٠٣).

(٤) أنظر مثلا: تفسير الألوسي – (ج ١٣ / ص ٨٧)، تفسير البحر المحيط – (ج ٥/ ص ٣٥٤).

كان التنزيل بِلسانهم، وقال(سَبْعًا شِدَادًا) إذ كانت وثاقا محكمة الخلق، لا صدوع فيهنّ ولا فطور، ولا يبليهنّ مرّ الليالي والأيام[١].

وقال سبحانه مبينا عدم وجود الشقوق في السماء:{أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}[ق:٦]. ومعنى:{وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} أي: ليس فيها فتوق ولا شقوق ولا صدوع[٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: فهو سبحانه سواها كما سوى الشمس والقمر وغير ذلك من المخلوقات، فعدل بين أجزائها، ولو كان أحد جانبي السماء داخلًا أو خارجًا لكان فيها فروج، وهي الفتوق والشقوق، ولم يكن سواها، كمن بنى قبة ولم يسوها، وكذلك لو جعل أحد جانبيها أطول أو أنقص ، ونحو ذلك ، فالعدل والتسوية لازم لجميع المخلوقات والمصنوعات[٣].

وقال سبحانه مبينا عدم وجود التفاوت في خلقه:{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك:٣،٤].

قال الخازن رحمه الله: قوله تعالى: {الذي خلق سبع سموات طباقاً} يعني: طبقاً على طبق بعضها فوق بعض، كل سماء مقبية على الأخرى، وسماء الدنيا كالقبة على الأرض ... {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت} أي: ما ترى يا ابن آدم في شيء مما خلق الرحمن اعوجاجاً

(١) تفسير الطبري – (ج ٢٤ / ص ١٥٢).
(٢) تفسير الطبري – (ج ٢٢ / ص ٣٣٢)، وفتح القدير – (ج ٥ / ص ٧٢).
(٣) مجموع الفتاوى (١٦ / ١٣٥).

ولا اختلافاً ولا تناقضاً بل خلقهن مستقيمة مستوية، {فارجع البصر} أي: كرر النظر {هل ترى من فطور}؟ أي: من شقوق وصدوع {ثم ارجع البصر كرتين} قال ابن عباس: مرة بعد مرة {ينقلب} أي: ينصرف {إليك} فيرجع {البصر خاسئاً} أي صاغراً ذليلاً مبعداً لم ير ما يهوي {وهو حسير} أي: كليل منقطع لم يدرك ما طلب(١).

قال ابن تيمية في قوله تعالى:{مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ}: وهذا إنما يكون فيما يستدير من أشكال الأجسام، دون المضلعات من المثلث، أو المربع، أو غيرهما، فإنه يتفاوت؛ لأن زواياه مخالفة لقوائمه، والجسم المستدير متشابه الجوانب والنواحي، ليس بعضه مخالفا لبعض(٢).

---

(١) تفسير الخازن (ج ٧ / ص ١٢٤.١٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٩٤. وقال أيضا في تفصيل لذلك: السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام: مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، أحد الأعيان الكبار، من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربعمائة مصنف .وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم، وأبو الفرج بن الجوزي، وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية .وإن كان قد أقيم على ذلك أيضًا دلائل حسابية .ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك؛ إلا فرقة يسيرة من أهل الجدل. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، وقال تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}.قال ابن عباس وغيره من السلف: في فلكة مثل فلكة المغزل، وهذا صريح بالاستدارة والدوران، وأصل ذلك: أن الفلك في اللغة: هو الشيء المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة: فلكة، لاستدارتها .فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن الفلك: هو المستدير، والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة: التي نزل القرآن بها، وهي لغة العرب .وقال تعالى:{يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}، قالوا: والتكوير: التدوير، يقال: كورت العمامة، وكورتها: إذا دورتها. مجموع الفتاوى ٦/ ٥٨٦.٥٨٨باختصار.

وقد أخبر سبحانه عن حفظه للسموات والأرض من الزوال فقال جل من قائل:{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوات وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} فاطر٤١.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله مبينا الدلالات الإيمانية الاعتقادية في هذا الحفظ: أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوات وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا} أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ}، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ}، {وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}(١).

وقال الألوسي رحمه الله: والمراد بإمساكها عن الوقوع على الأرض حفظ تماسكها بقدرته تعالى(٢).

ومما يدل على هذا المعنى أيضا قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ}[الروم:٢٥].

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٦ / ص ٥٥٧).
(٢) تفسير الألوسي – (ج ١٧ / ص ١٩٣).

قال العلامة السعدي: أي: ومن آياته العظيمة: أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره، فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض[١].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان بعض الآيات الإلهية في السماء: تأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرّة بعد كرّة، كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السَّمَوات والأرض أن تزولا ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج[٢].

ب . تـزيين السماء الدنيا و حفظها من الشياطين:

دلت عدد من النصوص من كتاب الله تعالى على أنه سبحانه قد زين السماء الدنيا[٣] بالنجوم التي تملأ الكون، مكونة المجرات التي تحوي ما يصعب حصره من النجوم والكواكب والكويكبات والمذنبات والشهب المنتشرة في أرجاء الفضاء، وهي تمثل زينة رائعة للسماء الدنيا، وعلامات هادية للجهات، ورجوما للشياطين المحاولة لاستراق السمع.

قال تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[الصافات:٦-١٠].

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٤٠.

(٢) مفتاح دار السعادة – (ج ١ / ص ٢٠٧).

(٣) {السماء الدنيا} أي: أقرب السموات من أهل الأرض فالدنيا هنا مؤنث أدنى بمعنى أقرب. تفسير الألوسي – (ج ٢٣ / ص ٦٨).

قال العلامة السعدي رحمه الله: ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت الشياطين قُذِفت بالشهب الثواقب {مِنْ كُلِّ جَانِبٍ} طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.{وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} أي: دائم معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم، ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا ولكن قال: {إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء[١].

وقال سبحانه أيضا في هذا الموضوع:{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ، إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ}الحجر:١٦. ١٨.

قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر[٢]

(١) تفسير السعدي ص: ٧٠٠. بتصرف يسير.

٢) وفي بيان المقصود بالبروج التي هي منازل الشمس والقمر، والفوائد التي أودعها الله تعالى في معرفة ذلك: يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: والبروج: جمع برج " بضم الباء ".
=

=

وحقيقته البناء الكبير المتخذ للسكنى أو للتحصن . وهو يرادف القصر قال تعالى (ولو كنتم في بروج مشيدة) في سورة النساء، وأطلق البرج على بقعة معينة من سمت طائفة من النجوم غير السيارة " وتسمى النجوم الثوابت " متجمع بعضها بقرب بعض على أبعاد بينها لا تتغير فيما يشاهد من الجو، فتلك الطائفة تكون بشكل واحد يشابه نقطا، لو خططت بينها خطوط لخرج منها شبه صورة حيوان أو آلة سموا باسمها تلك النجوم المشابهة لهيئتها، وهي واقعة في خط سير الشمس، وقد سماها الأقدمون من علماء التوقيت بما يرادف معنى الدار أو المكان. وسماها العرب: بروجا ودارات على سبيل الاستعارة المجعولة سببا لوضع الاسم ؛ تخيلوا أنها منازل للشمس لأنهم وقتوا بجهتها سمت موقع الشمس من قبة الجو نهارا فيما يخيل للناظر أن الشمس تسير في شبه قوس الدائرة . وجعلوها اثني عشر مكانا بعدد شهور السنة الشمسية، وما هي في الحقيقة إلا سموت لجهات تقابل كل جهة منها الأرض من جهة وراء الشمس مدة معينة. ثم إذا انتقل موقع الأرض من مدارها كل شهر من السنة تتغير الجهة المقابلة لها. فبما كان لها من النظام تسنى أن تجعل علامات لمواقيت حلول الفصول الأربعة وحلول الأشهر الاثني عشر، فهم ضبطوا لتلك العلامات حدودا وهمية عينوا مكانها في الليل من جهة موقع الشمس في النهار، وأعادوا رصدها يوما فيوما. وكلما مضت مدة شهر من السنة ضبطوا للشهر الذي يليه علامات في الجهة المقابلة لموقع الشمس في تلك المدة. وهكذا حتى رأوا بعد اثني عشر شهرا أنهم قد رجعوا إلى مقابلة الجهة التي ابتدأوا منها فجعلوا ذلك حولا كاملا . وتلك المسافة التي تخال الشمس قد اجتازتها في مدة السنة سموها دائرة البروج أو منطقة البروج . وللتمييز بين تلك الطوائف من النجوم جعلوا لها أسماء الأشياء التي شبهوها بها وأضافوا البرج إليها. وهي على هذا الترتيب ابتداء من برج مدخل فصل الربيع: الحمل الثور الجوزاء " مشتقة من الجوز " بفتح فسكون الوسط " لأنها معترضة في وسط السماء " السرطان الأسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت، فاعتبروا لبرج الحمل شهر " أبريل " وهكذا، وذلك بمصادفة أن كانت الشمس يومئذ في سمت شكل نجمي شبهوه بنقط خطوط صورة كبش. وبذلك يعتقد أن الأقدمين ضبطوا السنة الشمسية وقسموها إلى الفصول الأربعة وإلى الأشهر الاثني عشر قبل أن يضبطوا البروج. وإنما ضبطوا البروج لقصد توقيت ابتداء الفصول بالضبط ليعرفوا ما مضى من مدتها وما بقي، وأول من رسم هذه الرسوم الكلدانيون ثم انتقل علمهم إلى بقية الأمم ومنهم العرب فعرفوها وضبطوها وسموها بلغتهم، ولذلك أقام القرآن الاستدلال بالبروج على عظيم قدرته وانفراده بالخلق لأنهم قد عرفوا دقائقها ونظامها الذي تهيأت به لأن تكون وسيلة ضبط المواقيت بحيث لا تخلف ملاحظة راصدها. وما خلقها الله بتلك الحالة إلا ليجعلها صالحة لضبط المواقيت كما قال تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) . ثم ارتقى في الاستدلال بكون هذه البروج العظيمة الصنع قد جعلت بأشكال تقع موقع الحسن في الأنظار، فكانت زينة للناظرين يتمتعون بمشاهدتها في الليل فكانت الفوائد منها عديدة.التحرير والتنوير ١٣/ ٢٣ . ٢٤.

(وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) يقول: وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها[١].

وقال سبحانه:{... وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[فصلت:١٢].

قال الخازن رحمه الله:{وزينا السماء الدنيا}: أي: التي تلي الأرض {بمصابيح}: أي: بكواكب تشرق كالمصابيح {وحفظاً} أي: وجعلناها يعني الكواكب حفظاً للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع، {ذلك}: أي: الذي ذكر من صنعه وخلقه {تقدير العزيز}: أي: في ملكه {العليم}: أي: بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم [٢].

المسألة الثالثة: الاستدلال بخلق السَّمَوات على البعث

وهذا أحد أدلة البعث، قال تعالى في هذا الاستدلال: { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوات وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس: ٨١]، وقال سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوات وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف: ٣٣].

والآيتان واضحتا الدلالة على قدرته تعالى على إحياء الموتى، لأنه سبحانه قد خلق ما هو أعظم من خلق الناس ألا وهو خلق السموات والأرض، فمن قدر على خلق العظيم لم يعجزه اليسير سبحانه، كما قال سبحانه: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: ٥٧].

---

(١) تفسير الطبري – (ج ١٧ / ص ٧٦. ٧٧).

(٢) تفسير الخازن (٦ / ١٠٦).

قال الإمام الطبري رحمه الله: فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض، يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت!؟ (١).

وقد قرر ابن أبي العز شارح الطحاوية هذا الاستدلال، مبينا أنه يقوم على: "أخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارا .....فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما، فيردها إلى حالتها الأولى" (٢).

المسألة الرابعة: إقسام الله عز وجل بالسمآء وأجرام الفضاء

ومن المسائل العقدية المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء: إقسام الله جل وعلا بها، قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}[البروج: ١]، وقال سبحانه: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق: ١] فهذا قسم بالسماء، كما أقسم تعالى بالشمس والقمر فقال عز وجل: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} [الشمس: ١، ٢]. وأقسم سبحانه بالنجم حيث قال جل من قائل: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم: ١]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق (٣). قلت: ولهذا تقرر في علم العقيدة النهي عن الحلف بغير

(١) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (٢٠/ ٥٥٦).

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٩٥).

(٣) تفسير الطبري : جامع البيان ت شاكر (٣/ ٢٦٦).

الله [١] ، وذلك لثبوت النهي عنه في عدد من الأحاديث كقوله النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله، وإلا فليصمت»[٢]، وكقوله عليه الصلاة والسلام: "مَن حلَفَ بغيرِ الله فقد أشركَ"[٣].

والمقصود بالشرك هنا الأصغر؛ لكونه من شرك الألفاظ[٤].

المطلب الثاني : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في الشمس والقمر

المسألة الأولى: آية خلقهما وجعلهما آيتين من آيات الله:

قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[الأنبياء:٣٣].

وفي كونهما آيتين دالتين على الله تعالى يقول سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[فصلت:٣٧].

وفي الدلالة الإيمانية والاعتقادية لذلك، يقول الخازن رحمه الله: قوله تعالى: {ومن آياته}: أي: ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته: {الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر} أي: إنهما مخلوقان مسخران؛ فلا ينبغي السجود لهما؛ لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم، {واسجدوا لله الذي خلقهن} أي: المستحق للسجود والتعظيم هو الله: خالق الليل والنهار والشمس والقمر[٥].

---

(١) أنظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٣)، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٩٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (٨/ ٢٧) و صحيح مسلم كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٣/ ١٢٦٧).

(٣) سنن أبي داود ت الأرنؤوط كتاب الأيمان والنّذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (٥/ ١٥٥) وقد صححه المحقق.

(٤) أنظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٩٥)،و القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦).

(٥)تفسير الخازن – (ج ٥ / ص ٣٥٢).

المسألة الثانية : آية تسخيرهما للجري إلى أجل مسمى

إن السير المنتظم البديع المتقن للشمس والقمر، الذي لا يتخلف حتى في جزء من الثانية، والذي تنشأ عنه الظواهر المختلفة من الليل والنهار، ومعرفة التوقيت اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي، وغير ذلك من المصالح: إن هذا التسخير لسير الشمس والقمر لهو من أعظم آيات الله تعالى الدالة على قدرته سبحانه وحكمته وخبرته وإبداعه وإرادته وقوته، وفي ذلك يقول الحق تعالى:{... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}الرعد:٢. والتَّسْخِيرُ: التَّذليل[١]. والشمسُ والقمرُ مُسَخَّران يجريان مجاريهما: أَي: سُخِّرا جاريين عليهما[٢].

قال الخازن رحمه الله:{وسخر الشمس والقمر} يعني: ذللهما لمنافع خلقه، فهما مقهوران[٣] يجريان على ما يريد {كلٌّ يجري لأجل مسمى} يعني إلى وقت معلوم، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها[٤].

---

(١)تاج العروس – (ج ١١ / ص ٥٢٣).

(٢)لسان العرب – (ج ٤ / ص ٣٥٣).

(٣)قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: والتسخير حقيقته: تذليل ذي عمل شاق أو شاغل بقهر وتخويف أو بتعليم وسياسة بدون عوض، فمنه تسخير العبيد والأسرى ومنه تسخير الأفراس والرواحل ومنه تسخير البقر للحلب والغنم للجز. ويستعمل مجازا في تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم، من شانه أن يصعب استعماله فيه بحيلة أو إلهام، تصريفا يصيره من خصائصه وشؤونه، كتسخير الفلك للمخر في البحر بالريح أو بالجدف، وتسخير السحاب للإمطار، وتسخير النهار للعمل والليل للسكون، وتسخير الليل للسير في الصيف، والشمس للدفء في الشتاء، والظل للتبرد في الصيف. التحرير والتنوير ٨ / ١٢٩.

(٤)تفسير الخازن – (ج ٤ / ص ٣).

قلت: قوله رحمه الله: "مقهوران" قد يفهم من لفظ القهر: أن الشمس والقمر أكرههما الله تعالى على حركتهما المستمرة وهما لا يريدان ذلك! وليس المقصود ذلك، ولكن المقصود أنه سبحانه قيضهما وهيأهما لهذه الحركة المستمرة الدائبة فجريا فيها بلا ممانعة منهما، إذ قد أخبر سبحانه أن السَّمَوات والأرض انقادت له طواعية كما أخبر سبحانه بقوله:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}[فصلت:١١].

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في بيان معنى جري الشمس والقمر: والجري: المشي السريع، استعير لانتقال الشمس في فلكها، وانتقال الأرض حول الشمس، وانتقال القمر حول الأرض، تشبيها بالمشي السريع لأجل شسوع المسافات التي تقطع في خلال ذلك[١].

ويقول سبحانه:{وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ ...}[إبراهيم:٣٣].

قال الشوكاني رحمه الله: {وَسَخَّر لَكُمُ الشمس والقمر} لتنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما، وانتصاب {دائبين} على الحال، والدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية ...{دائبين} في السير امتثالاً لأمر الله، والمعنى: يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران ولا ينقطع سيرهما[٢].

وقال السعدي رحمه الله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمصالحكم، من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم، وثماركم[٣].

---

(١)التحرير والتنوير – (ج ٢١ / ص ١٢٦).

(٢)فتح القدير – (ج ٣ / ص ١١٠).

(٣)تفسير السعدي ص ٤٢٦.

وقد بين سبحانه أن الشمس والقمر مسخران للجري في فلك محدد، قال سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[الأنبياء٣٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله: الفلك في كلام العرب: هو كل شيء دائر[(١)]، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كل

ذلك في دائر يسبحون، وأما قوله:(يسبحون) فإن معناه: يجرون[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} أي: يدورون، قال ابن عباس: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة[(٣)].

وفي مناظرة إبراهيم عليه السلام لأحد ملوك الكفار الجاحدين: استدل عليه بفعله تعالى في إظهار الشمس من جهة المشرق، وطالبه بإظهارها من جهة المغرب إن كان صادقا في دعواه الربوبية، فكان ذلك إفحاما له، قال سبحانه:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[البقرة:٢٥٨].

---

(١) قال الفيروزآبادي رحمه الله: الفَلَكُ محرَّكةً: مَدارُ النُّجومِ ج: أفْلاكٌ وفُلُكٌ بضمتينِ و من كلِّ شيءٍ: مُسْتَدارُه ومُعْظَمُه ومَوْجُ البَحْرِ المُضْطَرِبُ والماءُ الذي حَرَّكَتْهُ الريحُ والتَّلُّ من الرَّمْلِ حَوْلَهُ فَضاءٌ وقِطَعٌ من الأرضِ تَسْتَدِيرُ وتَرْتَفِعُ عما حَوْلَها. وفي المعجم الوسيط - (ج ٢ / ص ٣١٧): الفلك: التل المستدير من الرمل حوله فضاء، ومن البحر موجه المستدير المضطرب، والمدار يسبح فيه الجرم السماوي (ج) أفلاك، وعلم الفلك علم يبحث فيه عن الأجرام العلوية وأحواله.

(٢)تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٤٣٨).قال الراغب رحمه الله: السبح: المر السريع في الماء، وفي الهواء، يقال: سبح سبحا وسباحة، واستعير لمر النجوم في الفلك نحو: {وكل في فلك يسبحون}، ولجري الفرس. مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٤٥٢).

(٣)تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٣٤١).

كما أن هذا التسخير دليل على استحقاقه تعالى وحده للعبادة، كما قال سبحانه: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: ٦١].

قال الشوكاني رحمه الله: {فأنى يؤفكون} أي: فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده بالإلهية، وأنه وحده لا شريك له(١)؟!

وكذلك جعل الله تعالى تسخيره للشمس والقمر أحد الأدلة على ملكه للكون، و استحقاقه تعالى وحده للعبادة، وبطلان عبادة ماسواه، قال تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٣، ١٤].

المسألة الثالثة: آية جعلهما نعمة على بني آدم وبقية الكائنات الحية

وقد ذكرت النصوص الكريمة في ذلك ما يلي:

أ . آية جعل الشمس ضياء والقمر نورا :

قال تعالى متحدثا عن الشمس:{وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً}[النبأ:١٣]. وقال سبحانه:{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً}[نوح:١٥.١٦]، وقال جل من قائل:{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً}[الفرقان:٦١].

وقال سبحانه أيضا:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً ...}[يونس:٥].

---

(١)فتح القدير (٤/ ٢٤٣).

قال الشوكاني رحمه الله: أي: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور إلا أن يحمل على المبالغة، وكأنهما جعلا نفس الضياء والنور. قيل: الضياء أقوى من النور، وقيل الضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض، ومن هنا قال الحكماء: إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس[1].

قلت: لقد أصبح من الحقائق العلمية المسلَّمة في عصرنا أن القمر لا يضيء بذاته، وإنما يعكس ضوء الشمس، وأن الشمس عبارة عن نجم هائل مشتعل وهَّاج يصل منه الضياء والحرارة إلى أجرام المجموعة الشمسية، فمن هنا كان التفريق في القرآن الكريم في وصف الشعاع الصادر من كل منهما ولا يستغرب ذلك؛ فإن الله سبحانه الذي أنزل القرآن هو الذي خلق الشمس والقمر، وسخرهما، وأودع فيهما من الخصائص ما تصلح به الحياة على وجه الأرض[2].

وقال سبحانه:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}[الإسراء:١٢].

قال الشوكاني رحمه الله: {فَمَحَوْنَا ءايَةَ اليل} أي: طمسنا نورها، وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء[3]. قيل: ومن آثار المحو

(١)فتح القدير – (ج ٢ / ص ٤٢٥). وانظر: التحرير والتنوير – (ج ١١ / ص ١٩).

(٢)أنظر: كتاب نماذج من الآيات المشتملة على الإعجاز. عند الكلام في تفسير الآية الكريمة.

(٣)أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وجعلنا الليل والنهار آيتين} قال: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل والشمس آية النهار {فمحونا آية الليل} قال: السواد الذي في القمر. الدر المنثور – (ج ٥ / ص ٢٤٨).

السواد الذي يرى في القمر، وقيل: المراد بمحوها أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة، وليس

المراد أنه محاها بعد أن لم تكن كذلك {وجعلنا آية النهار مبصرة} أي: جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر فيها الأشياء[(١)].

وفي حكمة محو آية الليل يقول ابن القيم رحمه الله: تأمل الحكمة في إنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل، فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء، لم تقتض المصلحة أن يكون الليل ظلمة واحدة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل، وربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولإفراط الحر فيه، فاحتاجوا إلى العمل في الليل في نور القمر من حرث الأرض وقطع الزرع وغير ذلك، فجعل ضوء القمر في الليل معونة للناس على هذه الأعمال، وجعل في الكواكب جزءا يسيرا من النور لتسد مسد القمر إذا لم يكن[(٢)].

ب . آية جعلهما وسيلة للحساب

وقد ورد ذلك في عدد من النصوص، من ذلك قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ

---

(١)فتح القدير – (ج ٣ / ص ٢١٢)وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: وقيل: معنى {فَمَحَوْنَآ آيَةَ الليل} أي: لم نجعل في القمر شعاعاً كشعاع الشمس ترى به الأشياء رؤية بينة . فنقص نور القمر عن نور الشمس هو معنى الطمس على هذا القول .وهذا أظهر عندي لمقابلته تعالى له بقوله: {وَجَعَلْنَآ آيَةَ النهار} والقول بان معنى محو آية الليل: السواد الذي في القمر ليس بظاهر عندي وإن قال به بعض الصحابة الكرام، وبعض أجلاء أهل العلم!. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن – (ج ٣ / ص ٥٧).

(٢)الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – (ج ٤ / ص ١٥٧٢).

فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}[الإسراء ١٢].

وقال سبحانه:{وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}يس:٣٩.

وقال سبحانه أيضا:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}يونس:٥.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:{وقدره}: أي: القمر {قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام(١).

وقال الشوكاني رحمه الله: قوله: {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ}: أي: قدر مسيره في منازل، أو قدره ذا منازل، والضمير راجع إلى القمر، ومنازل القمر: هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به، وجملتها ثمانية وعشرون وهي معروفة، ينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً لا يتخطاه، فيبدو صغيراً في أول منازله، ثم يكبر قليلاً قليلاً حتى يبدو كاملاً، وإذا كان في آخر منازله رقّ واستقوس، ثم يستتر ليلتين إذا كان الشهر كاملاً، أو ليلة إذا كان ناقصاً(٢).

وقال الألوسي رحمه الله: {وَقَدَّرَهُ} أي قدر له وهيأ {مَنَازِلَ} أو قدر مسيره في منازل .... وتخصيصه بهذا التقدير لسرعة سيره بالنسبة إلى

(١)تفسير ابن كثير – (ج ٤ / ص ٢٤٨).

(٢)فتح القدير – (ج ٢ / ص ٤٢٥).

الشمس، ولأن منازله معلومة محسوسة ولكونه عمدة في تواريخ العرب، ولأن أحكام الشرع منوطة به في الأكثر[١].

وقال الشربيني رحمه الله مفصلا هذه المنازل: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسماؤها: السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوّا، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدّم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت.

قال: وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجاً: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. فلكل برجٍ منزلان وثلث، فينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً، فيستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين فليلة واحدة، فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل، ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها[٢].

وفي بيان الحكم الإلهية في خلق منازل الشمس والقمر، وماتجنيه البشرية وتستفيده من تقدير سيرهما على نسق منتظم بديع، وكيفية استنباط التوقيت اليومي والشهري والسنوي من ذلك أنقل هنا كلام العلامة ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوات وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ

(١)تفسير الألوسي – (ج ١١ / ص ٦٩).وانظر: مفتاح دار السعادة (ج ٢ / ص١٩٥.١٩٦).
(٢)تفسير السراج المنير – (ج ٢ / ص ٥.٣).

الدِّينُ الْقَيِّمُ...}[التوبة: ٣٦] أنقله بطوله؛ وذلك لما فيه من تجلية هذه الآية العظيمة وإبرازها، قال رحمه الله:

المراد بالشهور: الشهور القمرية بقرينة المقام؛ لأنها المعروفة عند العرب وعند أغلب الأمم، وهي أقدم أشهر التوقيت في البشر وأضبطها؛ لأن اختلاف أحوال القمر مساعد على اتخاذ تلك الأحوال مواقيت للمواعيد والآجال وتاريخ الحوادث الماضية بمجرد المشاهدة؛ فإن القمر كرة تابعة لنظام الأرض، قال تعالى:{لتعلموا عدد السنين والحساب}، ولأن الاستناد إلى الأحوال السماوية أضبط وأبعد عن الخطأ؛ لأنها لا تتناولها أيدي الناس بالتغيير والتبديل .... فألهم الله البشر فيما ألهمهم من تأسيس أصول حضارتهم: أن اتخذوا نظاما لتوقيت أعمالهم المحتاجة للتوقيت، وأن جعلوه مستندا إلى مشاهدات بينة واضحة لسائر الناس لا تتحجب عنهم إلا قليلا في قليل، ثم لا تلبث أن تلوح لهم واضحة باهرة، وألهمهم أن اهتدوا إلى ظواهر مما خلق الله له نظاما مطردا، وذلك كواكب السماء ومنازلها كما قال[سبحانه] في بيان حكمة ذلك:{هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق} وأن جعلوا توقيتهم اليومي مستندا إلى ظهور نور الشمس ومغيبه عنهم؛ لأنهم وجدوه على نظام لا يتغير، ولاشتراك الناس في مشاهدة ذلك، وبذلك تنظم اليوم والليلة.

وجعلوا توقيتهم الشهري بابتداء ظهور أول أجزاء القمر، وهو المسمى هلالا إلى انتهاء محاقه، فإذا عاد إلى مثل الظهور الأول فذلك ابتداء شهر آخر، وجعلوا مراتب أعداد أجزاء المدة المسماة بالشهر مرتبة بتزايد ضوء النصف المضيء من القمر كل ليلة، وسموا أماكن ظهور

القمر كل ليلة حذو شكل من النجوم منازل، وقد وجدوا ذلك على نظام مطرد.

ثم ألهمهم فرقبوا المدة التي عاد فيها الثمر أو الكلأ الذي ابتدأوا في مثله العد، وهي أوقات الفصول الأربعة فوجدوها قد احتوت على اثني عشر شهرا، فسموا تلك المدة عاما، فكانت الأشهر لذلك اثني عشر شهرا؛ لأن ما زاد على ذلك يعود إلى مثل الوقت الذي ابتدأوا فيه الحساب أول مرة، ودعوها بأسماء لتمييز بعضها عن بعض دفعا للغلط، وجعلوا لابتداء السنين بالحوادث على حسب اشتهارها عندهم إن أرادوا ذلك، وذلك واسع عليهم.

وفي تقدير العبادات السنوية يضيف رحمه الله قائلا:

فلما أراد الله أن يجعل الناس عبادات ومواسم وأعيادا دورية تكون مرة في كل سنة: أمرهم أن يجعلوا العبادة في الوقت المماثل لوقت أختها، ففرض على إبراهيم وبنيه حج البيت كل سنة في الشهر الثاني عشر، وجعل لهم زمنا محترما بينهم يأمنون فيه على نفوسهم وأموالهم ويستطيعون فيه السفر البعيد وهي الأشهر الحرم، فلما حصل ذلك كله بمجموع تكوين الله تعالى للكواكب وإيداعه الإلهام بالتفطن لحكمتها، والتمكن من ضبط مطرد أحوالها، وتعيينه ما عين من العبادات والأعمال بمواقيتها: كان ذلك كله مرادا عنده فلذلك قال[سبحانه]:{إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض}، فمعنى قوله[سبحانه]:{إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا}: أنها كذلك في النظام الذي وضع عليه هذه الأرض التي جعلها مقر البشر باعتبار تمايز كل واحد فيها عن الآخر، فإذا تجاوزت الاثني عشر صار ما زاد على الاثني عشر مماثلا لنظير له في وقت حلوله فاعتبر شيئا مكررا.

وأضاف رحمه الله قائلا: بيان ذلك: أنه لما خلق [الله] القمر على ذلك النظام أراد من حكمته أن يكون طريقا لحساب الزمان كما قال[سبحانه]:{وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب}، ولذلك قال[سبحانه] هنا:{يوم خلق السماوات والأرض} فـ(يوم) ظرف لـ(كتاب الله) بمعنى التقدير الخاص، فإنه لما خلق السماوات والأرض كان مما خلق هذا النظام المنتسب بين القمر والأرض؛ ولهذا الوجه ذكرت الأرض مع السماوات دون الاقتصار على السماوات؛ لأن تلك الظواهر التي للقمر، وكان بها القمر مجزءا أجزاء منذ كونه هلالا، إلى ربعه الأول، إلى البدر، إلى الربع الثالث، إلى المحاق، وهي مقادير الأسابيع: إنما هي مظاهر بحسب سمته من الأرض، وانطباع ضوء الشمس على المقدار البادي منه للأرض.

ولأن المنازل التي يحل فيها بعدد ليالي الشهر: هي منازل فرضية بمرأى العين على حسب مسامتته الأرض من ناحية إحدى تلك الكتل من الكواكب التي تبدو للعين مجتمعة، وهي في نفس الأمر لها أبعاد متفاوتة لا تآلف بينها ولا اجتماع، ولأن طلوع الهلال في مثل الوقت الذي طلع فيه قبل أحد عشر طلوعا من أي وقت ابتدئ منه العد من أوقات الفصول إنما هو باعتبار أحوال أرضية، فلا جرم كان نظام الأشهر القمرية وسنتها حاصلا من مجموع نظام خلق الأرض وخلق السماوات، أي الأجرام السماوية وأحوالها في أفلاكها، ولذلك ذكرت الأرض والسماوات معا [١].

---

(١)التحرير والتنوير – (ج ١٠ / ص ٨٠ . ٨٣) بتصرف يسير.

وفي الدلالات الإيمانية الاعتقادية لآيتي الشمس والقمر، يقول ابن القيم رحمه الله: ومن تدبر أمر هذين النيرين العظيمين: وجدهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران دائبين، ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة والرجوع والاستقامة والانخفاض والارتفاع، ولا يجري أحدهما في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه، ولا تدرك الشمس القمر، ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار، بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيه الآخر، كما أن له تأثيرا ومنفعة لا يشركه فيها الآخر، وذلك مما يدل من له أدنى عقل على أنه بتسخير مُسخرٍ، وأمْرِ آمرٍ، وتدبير مُدبرٍ بهرت حكمته العقول، وأحاط علمه بكل دقيق وجليل........ فغايتنا الاعتراف بجلال خالقهما وكمال حكمته ولطف تدبيره وأن نقول ما قاله أولوا الألباب قبلنا: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩١].

ويضيف رحمه الله قائلا:

ولو أن العبد وصف له جرم أسود مستدير عظيم الخلق، يبدو فيه النور كخيط متسخن[كذا، ولعلها:مستدق] ثم يتزايد كل ليلة حتى يتكامل نوره، فيصير أضوأ شيء وأحسنه وأجمله ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حاله الأول، فيحصل بسبب ذلك معرفة الأشهر والسنين، وحساب آجال العالم من مواقيت حجهم وصلاتهم [وصومهم وزكاتهم]، ومواقيت أجائرهم ومداييناتهم ومعاملتهم التي لا تقوم مصالحهم إلا بها، فمصالح الدنيا والدين متعلقة بالأهلة، وقد ذكر سبحانه ذلك في ثلاث آيات من كتابه، أحدها قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [البقرة: ١٨٩] ، والثانية قوله: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} يونس:٥.، والثالثة قوله: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}[الإسراء:١٢] (١).

ومن الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى قوله سبحانه عن نفسه الكريمة: {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: ٩٦]، وقوله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن: ٥].

ومعنى الحسبان أنه تعالى:" جعل سيرهما بحساب ومقدار؛ لأن الشمس تقطع البروج كلها في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وتعود إلى مكانها، والقمر يقطعها في ثمانية وعشرين يوماً، وبدورانهما يعرف الناس حساب الأيام والشهور والأعوام"(٢).

وقال البقاعي رحمه الله أيضا:{حسباناً} أي: ذوي حسبان وعَلَمَين عليه، لأن الحساب يعلم بدورهما وسيرهما، وبسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم في الفصول الأربعة، فيكون عن ذلك ما يحتاج إليه من نضج الثمار وحصول الغلات، وعبر عنهما بالمصدر المبني على هذه الصيغة البليغة: إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير النفع(٣).

---

(١)التبيان في أقسام القرآن ص:١٢ بتصرف يسير.

(٢)البحر المحيط - (ج ٤ / ص ١٩٠)، وانظر: تفسير الخازن - (ج ٢ / ص ١٦٣).

(٣)نظم الدرر للبقاعي - (ج ٢ / ص ٦٨٠).ونحوه قال الزمخشري في الكشاف - (ج ٢ / ص ٤٧).

ج . تخويف الله عباده بهما بظاهرة الخسوف

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد، ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده" [١].

قلت: وبحسب معطيات الحقائق العلمية: فإن ظاهرة كسوف الشمس: عبارة عن توسط جرم القمر بين الأرض والشمس، وخسوف القمر: عبارة عن توسط جرم الأرض بين القمر والشمس، فيقع ظل الأرض على القمر، وقد أمكن حساب هذه الظاهرة في الماضي وتوقع حدوثها في المستقبل أيضا، وذلك لا ينافي كونها تخويفا من الله تعالى لعباده.

قال العيني رحمه الله مبينا الحكمة من الكسوف: والكسوف آية من آيات الله تعالى يخوف الله به عباده؛ ليتركوا المعاصي ويرجعوا إلى طاعة الله تعالى التي فيها فوزهم[٢].

وقال المناوي رحمه الله: قال الطبري في إحكامه: وللكسوف فوائد: منها ظهور التصرف في هذين الخلقين العظيمين، وإزعاج القلوب الغافلة وإيقاظها، وليرى الناس أنموذج القيامة، وكونهما يفعل بهما ذلك ثم يعادان فيكون [ذلك]تنبيها[٣]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبينا أن إمكانية توقع حدوث الكسوف لاينافي كونها آية وتخويفا: قال ابن دقيق العيد: ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله:" يخوف

(١)أخرجه البخاري كتاب الكسوف باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: يخوف الله عباده بالكسوف ٣٥٦/١ برقم ١٠٠١و مسلم كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف ٢/ ٦٢٠ برقم ٩٠١.

(٢)عمدة القاري [جزء ٥ – صفحة ٣٠٠] .

(٣)فيض القدير [جزء ٢ – صفحة ٣٤٨] .

الله بهما عباده" وليس بشيء؛ لأن لله أفعالا على حسب العادة، وأفعالا خارجة عن ذلك، وقدرته حاكمة على كل سبب، فله أن يقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض، وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء: إذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد، وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها[1].

المسألة الرابعة: آية انشقاق القمر

وهي من أعظم المسائل الاعتقادية المتعلقة بالقمر، فقد جعل الله تعالى انشقاقه بينة ودليلا من أدلة صدق الرسالة المحمدية، فقد سأل كفار مكة النبي ﷺ أن يريهم علامة تدل على صدق نبوته. قال أنس رضي الله عنه : سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية (أي علامة على صدق نبوته) فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً[2] بَيْنَهُمَا[3] .

(١)فتح الباري- تعليق ابن باز - (٢ / ٥٣٧).وعلق عليه الشيخ ابن باز رحمه الله قائلا:ما قاله ابن دقيق العيد هنا تحقيق جيد . وقد ذكر كثير من المحققين - كشيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم - ما يوافق ذلك ، وأن الله سبحانه وتعالى قد أجرى العادة بخسوف الشمس والقمر لأسباب معلومة يعقلها أهل الحساب ، والواقع شاهد بذلك ... والتخويف بذلك حاصل على كل تقدير لمن يؤمن بالله واليوم الآخر . والله أعلم.

(٢) حراء : جبل مرتفع معروف من جبال مكة .

(٣) رواه البخاري كتاب/ المناقب ب/ انشقاق القمر (٥/ ٤٩)، ومسلم كتاب صفة القيامة باب انشقاق القمر ٤/٢١٥٨ .

وقال عبدالله بن مسعود : انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ لَنَا : اشْهَدُوا اشْهَدُوا.[١]. وفي رواية عنه : أنهم كانوا وقت انشقاقه مع النبي ﷺ بمنى[٢].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ[٣] وقال عبدالله بن عمر : انفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا .[٤] .

ونزل القرآن العظيم ذاكراً هذه الحادثة العظيمة قال تعالى : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر: ١، ٢]. ومع ذلك كذب الكفار هذه الآية العظيمة وزعموا أنّها سحر .[٥] قال ابن حجر : وقد ورد انشقاق القمر من حديث علي وحذيفة وجبير ابن مطعم وابن عمر وغيرهم [٦].

وقال ابن عبد البر : قد روى هذا الحديث جماعة كبيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجَمُّ الغفير إلى أن

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير باب (وانشق القمر) (٦/ ١٤٢)، ونحوه عند مسلم كتاب صفة القيامة باب انشقاق القمر (٤/ ٢١٥٨).

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب باب انشقاق القمر ٤٩/٥ ومسلم كتاب صفة القيامة باب انشقاق القمر (٤/ ٢١٥٨).

(٣) البخاري كتاب المناقب باب انشقاق القمر (٦/ ١٤٢)، مسلم كتاب صفة القيامة باب انشقاق القمر صحيح مسلم (٤/ ٢١٥٩).

(٤) صحيح مسلم :كتاب صفة القيامة باب انشقاق القمر ٢١٥٨/٤، الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في انشقاق القمر ٤٧٧/٤.

(٥) وفي دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٨١): أن كفار قريش زعموا أن ذلك سحر فسألوا المسافرين عن ذلك فأخبروهم بوقوعه.

(٦) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦٣٢).

انتهى إلينا ، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة ، فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر[1] .

وقال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئٌ من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم؛ وذلك أنه أمر ظهر في ملكوت السماء خارج عن جملة طباع ما في العالم المُركَّب من الطبائع .. فلا يطمع في نيله بحيلة وعلاج وتأليف وتركيب ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون ويتصنَّع لها المُتكلفون، فلذلك صار الخطب فيه أعظم والبرهان به أظهر وأبهر [2].

هذا والدليل العقلي والسياق التاريخي أيضا يؤكد هذه البينة العظيمة، وبيان ذلك: أن القمر لو لم ينشق ـ وقد ذكر القرآن ذلك وسجله ـ لتشكك المسلمون في دينهم وخرجوا منه، ولقال الكفار: إن محمداً يكذب علينا، فما انشق القمر ولا رأينا شيئاً من ذلك!! ولكن الذي حدث أن ازداد المؤمنون إيماناً، وتحير الكافرون أمام هذه المعجزة التي لم يملكوا سوى أن يفسروها بأنها سحر مستمر!!

(١) نقله عنه الحافظ في الفتح ١٨٦/٧، ولم أجده في التمهيد ولا الاستذكار، فلعله في كتاب آخر له.

(٢)أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/ ١٦١٨) بتصرف يسير، ونقله عنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٥).

المطلب الثالث : المسائل العقدية المستنبطة من النظر في النجوم والكواكب

المسألة الأولى : آيات تسخيرها بأمر الله تعالى :

وهذا التسخير لسير النجوم وأجرام الفضاء في مسارات محددة وبانتظام بديع: هو من أعظم آيات الله سبحانه، كما سبق الحديث في ذلك في تسخير الشمس والقمر، قال تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[النحل:١٢].

وقال سبحانه:{...وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[الأعراف:٥٤].

ومما قاله أهل العلم في الدلالات الاعتقادية الإيمانية في ذلك ما يلي:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله متحدثا عن آية سورة النحل: {إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} أي: لدلالات على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه [١].

وقال الخازن رحمه الله: معنى التسخير: التذليل، وقال الزجاج: وخلق هذه الأشياء جارية في مجاريها بأمره. وقال المفسرون: يعني بتسخيرهن: تذليلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع، إذ ليس هي قادرات بأنفسهن وإنما هن يتصرفن في متصرفاتهن على إرادة المدبر لهن، الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن[٢].

وقال السعدي رحمه الله: {مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعِظَمُها دالٌّ على كمال

(١)تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥٦١).

(٢)تفسير الخازن (ج ٢ / ص ٢٣٩.٢٤٠) وكلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له[١].

المسألة الثانية : آية تزيين السماء الدنيا بها وجعلها رجوما للشياطين

قال تعالى مبينا ذلك:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}الملك:٥.وقال سبحانه أيضا:{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[الصافات:٦-١٠].

وقد سبق الحديث عن تزيين السماء الدنيا بالنجوم[٢]. وأما جعلها رجوما للشياطين التي تحاول استراق السمع فإن
ذلك يكون بالشهب[٣] كما في الآية الكريمة، وكما في قوله تعالى:{...فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً}[الجن: ٩].

---

(١)تفسير السعدي ص ٢٩١.

(٢)في المسألة الثانية من المطلب الأول.

(٣)الشهاب: الشعلة الساطعة من النار، و في التنزيل العزيز:{أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون} والنجم المضيء اللامع، و جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض اشتعل و صار رمادا (مج) و في التنزيل العزيز:{فأتبعه شهاب ثاقب}. المعجم الوسيط – (ج ١ / ص ١٠٣١)، وقال الكفوي: كل متوقد مضيء فهو شهاب. كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفوي – (ج ١ / ص ٨٢٤).

فيرسل الله تعالى الشهب لإحراق الشياطين المحاولة لاستراق السمع، وهذا مما لا تدركه علوم أهل الفلك، بل هو مما يعلم بالوحي، وسيأتي ذكر الحديث الصحيح الوارد في ذلك بمشيئة الله تعالى(١).

وأصل هذه الشهب من النجوم والكواكب كما هو ظاهر الآية الكريمة، وربما المقصود: أنها من نفس جنسها(٢). قال العلامة محمود الآلوسي رحمه الله: وليست الشهب نفس الكواكب التي زينت بها السماء فإنها لا تنقض؛ وإلا لانتقصت زينة السماء بل لم تبق(٣).

المسألة الثالثة: آية جعل النجوم علامات للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر

قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[الأنعام:٩٧].

---

(١) في المطلب الرابع من المبحث الثاني عند الكلام على التنجيم.

(٢) الشهب والنيازك: هي جسيمات تتجول في الفضاء، وتأتي كل يوم بالملايين إلى جو الأرض، وتتكون من الصخر أو الحديد المخلوط بالنيكل ومعظمها ليس أكبر من رأس الدبوس، ولكن بعضها تصل كتلته ٦٠ طنا . ويمكن رؤيتها بالعين، وتدخل كل ساعة عشرة شهب للغلاف الجوي للأرض بسرعة ٢٠ ، ٣٠ كم / ثانية، وقد جعل الله الغلاف الجوي حماية للبشر من خطر هذه الشهب، وتبدأ الشهب في الظهور وهي على ارتفاع ٦٠ ميلا في الهواء وتختفي عند نحو ٤٠ ميلا ، وتهبط الشهب إلى الأرض أسرابا وفرادى. وتتحرك الشهب في سرعات فلكية بطبيعة الحال متوسطها نحو ٤٠كم/ث، وهي تسبح في أسراب حول الشمس شأنها في ذلك شأن المذنبات والكواكب، والشهاب الكبير عندما ينفذ من جو الأرض ويسقط على سطح الأرض يسمى نيزكا وهذه الظاهرة نادرة نسبيا . ولا يعرف مصدر النيازك ولكنها تفيد وجود حجارة في السماء، وربما كان مصدرها حزام النجيمات والذي يقع في الفراغ بين مساري المريخ والمشترى حيث يعتقد أن كوكبا كان يسبح فيه ثم تفتت إلى حزام يسمى حزام النجيمات لتطلق منه الشهب والنيازك. الكون والرؤية العلمية فى القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى – (١ / ٥٨) بتصرف. وانظر موسوعة ويكيبيديا: موضوع النيزكhttps://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٣) كتاب: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان ص: ١٢٦.

وفي بيان هذه الآية قال الخازن رحمه الله: جعل هنا بمعنى خلق. يعني: والله الذي خلق لكم هذه النجوم أدلة؛ لتهتدوا بها إذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه، فامتنّ الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون، ويستدلون بالنجوم أيضاً على القبلة، فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس، وفي الليل بحركة الكواكب ... {قد فصلنا الآيات} يعني: قد بينّا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا {لقوم يعلمون} أن ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته(١).

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: هذا تذكير بوحدانية الله وبعظيم خلقة النجوم، وبالنعمة الحاصلة من نظام سيرها، إذ كانت هداية للناس في ظلمات البر والبحر يهتدون بها. وقد كان ضبط حركات النجوم ومطالعها ومغاربها من أقدم العلوم البشرية ظهر بين الكلدانيين والمصريين القدماء، وذلك النظام هو الذي أرشد العلماء إلى تدوين علم الهيئة، والمقصود الأول من هذا الخبر الاستدلال على وحدانية الله تعالى بالإلهية(٢).

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:{... وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[النحل:١٦]: وهذه منة بالاهتداء في الليل، لأن السبيل والعلامات إنما تهدي في النهار، وقد يضطر السالك إلى السير ليلا ؛ فمواقع النجوم علامات لاهتداء الناس السائرين ليلا تعرف بها السماوات، وأخص من يهتدي بها البحارة؛ لأنهم لا يستطيعون الإرساء في كل ليلة، فهم

---

(١) تفسير الخازن - (ج ٢ / ص ١٦٣).

(٢)التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٢٣٤).

مضطرون إلى السير ليلا، وهي هداية عظيمة في وقت ارتباك الطريق على السائر [١].

هذا و" قد ثبت بالملاحظة العلمية الدقيقة، وبالمناظير المقربة: أن النجم القطبي هو أحد نجوم السماء التي تبعد عنا بآلاف الملايين من الأميال، وأنه يبعد عن الكرة الأرضية بنحو ٣٠٠ سنة ضوئية، لوحظ أن هذا النجم يقع جهة الشمال دائما بالنسبة لسكان نصف الكرة الشمالي، أي: أننا إذا اتجهنا نحوه تكون جهة الشمال أمامنا وجهة الجنوب خلفنا وجهة الشرق على يميننا وجهة الغرب على يسارنا، وبواسطة هذا النجم يمكننا أن نعرف مواضع الأماكن على سطح الكرة الأرضية، سواء كنا في سفر أو حضر، وقد استطاع الفلكيون بوسائلهم وأجهزتهم العلمية وحساب المثلثات أن يرصدوا أكثر النجوم، ويصنعوا لها جداول تبين مواقعها بالنسبة للأرض؛ لتكون مرشدا للمسافرين في البر والبحر وفى رحلات الفضاء إلى الكواكب، فسبحان الذي خلق هذا الكون الهائل في اتساعه الشاسع وفى امتداده الذي لا نهاية له و هيأ سبحانه برحمته وعونه لنا سبل الاهتداء فيه ليلا بالنجوم، ونهارا بالشمس إلى مقاصدنا، وقد امتن علينا في ذلك بقوله تعالى أيضا: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون}"[٢].

وأختم هذا المبحث بكلام قيم للإمام ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

---

(١)المرجع السابق (ج ١٣ / ص ٩٨).

(٢)القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم ص: ١٤٩،١٤٨ بتصرف يسير.

وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٣-١٦٤] يؤكد فيه أن أعظم الدلالات العقدية المستنبطة من النظر في آيات الله تعالى الكونية هي دلالتها على الله تعالى، وعلى وحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة دون ماسواه، قال رحمه الله:

هذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهل الشرك به على ضلالهم، ودعاء منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم، ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون! إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أن إلهكم إله واحد، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حججي وفكروا فيها، فإن من حججي خلق السَّمَوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثت فيها من كل دابة، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذر، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري. فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوجز

كلام، وأبلغ حجة وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه[١].

هذا ويؤكد العلماء التجريبيون في عصرنا الحاضر أن: " فروع العلم كافة تثبت ان هنالك نظاما معجزا يسود هذا الكون، أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل، والتي يعمل العلماء جاهدين على كشفها والإحاطة بها .....فمن الذي سن هذه القوانين وأودعها كل ذرة من ذرات الوجود، بل في كل ما هو دون الذرة عند نشأتها الأولى؟ ومن الذي خلق كل ذلك النظام والتوافق والانسجام؟ من الذي صمم فأبدع وقدر فاحسن التقدير؟ هل خلق كل ذلك من غير خالق ام هم الخالقون؟ ان النظام والقانون وذلك الإبداع الذي نلمسه في الكون حيثما اتجهت أبصارنا يدل على أنه القدير وعلى أنه العليم الخبير من وراء كل شيء"[٢].

تنبيه:

١. اشتهر في العرف العلمي الحديث التفريق بين النجوم والكواكب، فيطلق لفظ النجم على ما كان من أجرام السماء يضيء بذاته، ولفظ الكوكب على الجرم المعتم العاكس للضوء الصادر من النجوم، وهذا اصطلاح للتفريق العلمي بين الجرمين بحسب واقع كل منهما، فلا إشكال فيه، ومن خلال بحثي في النصوص الكريمة لم أجد فرقا بين اللفظين فيطلق كل منهما على الآخر، أي: على كل جرم مضيء، بغض النظر عما إذا كان مضيئا بذاته، أو عاكسا للضوء، كما قال سبحانه: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ

(١)تفسير الطبري : جامع البيان ت شاكر (٣/ ٢٦٦).

(٢)الله يتجلى في عصر العلم (ص: ٩).

الْكَوَاكِبِ} [الصافات: ٦]، ومعلوم أن زينة السماء الدنيا هي من مجموع النجوم والكواكب، وسمي الجميع في القرآن باسم المصابيح أيضا كما قال سبحانه:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ }الملك:٥.

٢. ورد في كلام بعض أهل العلم تقسيم أجرام السماء إلى سيارة [متحركة] وثوابت[١]، والحقيقة أن الجميع متحرك ويسبح في الفلك كما في القرآن الكريم، وسبب ظنهم هذا هو ملاحظتهم المبنية على النظر المجرد، فما لاحظوا حركتة وانتقاله سموه سيارا وهي بضعة كواكب، ومالم يدركوا حركته في القبة السماوية سموه ثابتا، والحقيقة كما ذكرت أن الجميع سابح في الفلك، والله أعلم.

---

(١)أنظر مثلا: تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١٩٨).

المبحث الثاني : الاعتقادات الباطلة المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء

وبالنظر في نصوص الكتاب والسنة، وجدتها قد نصت على النهي والتحذير من هذه الاعتقادات الباطلة المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء:

المطلب الأول: ـ اتخاذها آلهة من دون الله تعالى وصرف أي عبادة لها.

فقد ضل بعض الناس وعبدوا الشمس والقمر والكواكب من دون الله تعالى، وقد حكى الله تعالى قصة ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس مع قومها، فقد حكى سبحانه قول الهدهد:{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ، أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النمل: ٢٤ – ٢٦].

ولما كانت عبادة الشمس والقمر عادة متبعة لدى بعض البشر، نهى الله تعالى عن صرف العبادة لها فقال سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تعبدون}[فصلت:٣٧].

بل أخبر تعالى أن هذه الأجرام تسجد لله تعالى على الدوام، فقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

وتمارس عبادة الشمس في بعض الأماكن من العالم حاليا، فمثلا تشيع في الشنتوية الحالية عبادة الطبيعة وقواها المنتجة، لذلك فإن الشنتويين يعظمون الشمس (١).

---

(١)الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، ولا زالت الدين الأصيل فيها. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٣٢)، وفي الهند مثلا: =

بل إن الشريعة الإسلامية جاءت بسد الذرائع في هذا الباب، فحرمت الصلاة لله تعالى في الوقت الذي كان عباد الشمس يسجدون لها فيه عند طلوعها وغروبها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان"[(١)].

وقال ﷺ لصاحبه عمرو بن عبسة: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار.....الحديث، وفيه: فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار[(٢)].

ومعنى طلوع الشمس بين قرني الشيطان: أي: بين جانبي رأسه، وذلك أنه ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين

=

قررت ولاية ماديا براديش تنظيم تجمهر لتحية الشمس أو ما يعبر عنه بعبادة الشمس بكل المدارس وذلك في الثاني عشر من يناير مما أحدث ضجة بين المسلمين رافضين لفرض هذا البرنامج على أبناء الأقليات. أنظر: موقع مرصد الأقليات المسلمة . http://aqlyat.com/news/316 ،كما وجد تأليه الشمس عند بعض الفراعنة في بلاد مصر قديما، أنظر موقع موسوعة ويكيبيديا: موضوع: "رع" /https://ar.wikipedia.org/wiki.

(١)أخرجه البخاري كتاب : بدء الخلق باب : صفة إبليس وجنوده ١٢٢/٤. ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها (١/ ٥٦٧).

(٢)أخرجه مسلم كتاب : صلاة المسافرين وقصرها باب : إسلام عمرو بن عبسة ٥٧١.٥٦٩/١ برقم :٨٣٢، والنسائي كتاب : المواقيت باب : النهي عن الصلاة بعد العصر ٢٧٩/١ برقم : ٥٧٢.

جانبي رأسه بالنسبة لمن يشاهده [لو أمكن ذلك]، ويفعل ذلك ليقع السجود إلى جهته إذا سجد الكفار عُبَّاد الشمس لها ، وكذلك يفعل عند غروبها(١).

ولا غرابة في ذلك فإنه هو المزين للكافرين عبادة الشمس من دون الله تعالى، وهو الذي زين لقبيلة سبأ" عبادة الشمس والسجود لها من دون الله تعالى قال سبحانه حاكياً عن الهدهد قوله مخبراً عن قبيلة سبأ مع ملكتهم بذلك: (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) النمل:٢٤-٢٥ .

إذن فعلة النهي عن الصلاة حال طلوع الشمس وحال غروبها لأجل ترك مشابهة الكفار الذين يسجدون للشمس حينئذ وقد انتصب الشيطان بحذائها ليكونوا كهيئة الساجدين له ، والله أعلم(٢).

ومما يذكر هنا أن طائفة من العرب كانوا يعبدون النجم المسمى بالشعرى، فعاب الله تعالى عليهم ذلك، وبين أنه سبحانه خالق هذا النجم الذي يعبدونه، قال سبحانه: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى} [النجم: ٤٩].

---

(١) فتح الباري ٣٤٠/٦، بتصرف يسير ، وعون المعبود ٦٠/٢. وهناك أقوال أخرى في معنى طلوع الشمس بين قرني شيطان ولكن أرجحها ما ذكرته لموافقته لظاهر الأحاديث الواردة ، وقد قواه النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ١١٢/٦.

(٢) فتح الباري ٦٠/٢.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: {وأنه هو رب الشعرى} قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: "مرزم الجوزاء" كانت طائفة من العرب يعبدونه [١].

وقال القرطبي رحمه الله: (الشعرى) الكوكب المضي الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر ..... وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره، لأن العرب كانت تعبده، فأعلمهم الله عز وجل أن الشعرى مربوب وليس برب [٢].

وقد ذكر المؤرخون وأهل التفسير أن القوم الذين بعث إليهم نبي الله إبراهيم عليه السلام كانوا يعبدون الكواكب[٣]، وللأسف لايزال في عصرنا الحاضر من يقدس الكواكب ويتجه إليها بالعبادة من دون الله تعالى[٤].

المطلب الثاني ـ اعتقاد أزلية الكون

ومعنى ذلك اعتقاد أن الكون موجود منذ الأزل فلا بداية له، وبالتالي فهو غير مخلوق! ويقود هذا إلى إنكار الخالق سبحانه!! وقد قال الله تعالى في دحض هذه المقولة: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوات وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور: ٣٥، ٣٦].

---

(١)تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٦٧).

(٢)تفسير القرطبي (١٧/ ١١٩).

(٣) أنظر مثلا: تفسير الرازي : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٦١٩)،وتفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٩٢).

(٤) وذلك كما في الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٥٢)، وكما يوجد التقديس والتعظيم للكواكب عند الصابئة المندائية. المرجع السابق٢/٧١٤.

وهذا استدلال عقلي قطعي، ومعناه: هل خُلق هؤلاء الكفار من غير خالق؟! وهذا ما لا يستطيعون قوله؛ فالعدم لايخلق شيئا، أم هم الخالقون لأنفسهم؟! وهذا أيضا لا يمكنهم قوله لمعرفتهم يقينا أنهم لم يخلقوا أنفسهم ولا غيرهم، فيتعين عقلا أن الكون والحياة لابد لها من خالق وهو الله الواحد جل وعلا.

قال الخازن رحمه الله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} قال ابن عباس: من غير رب خالق. والمعنى: أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟! وذلك مما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، {أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ} أي: لأنفسهم؟ وذلك في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟! فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه(١).

وإنكار الخالق سبحانه هو الأكذوبة والخرافة الكبرى التي قام عليها الإلحاد في هذا العصر، متجاهلا بذلك قاعدة من أعظم البديهيات العقلية من أنه لا مصنوع بدون صانع، ولا مخلوق بدون خالق. وبناء على خرافة الجحد والإنكار قام سوق الإلحاد، وضلت بسببه مئات الملايين من البشرية، ولم يزل في تفاقم إلى أن انهارت المنظومة الشيوعية قبل نحو عقدين من الزمان كما هو معلوم. مع أن الكون كله شاهد بوجود الله الخالق سبحانه، فعدد الأدلة على الله الخالق سبحانه كعدد المخلوقات في الوجود، فكل مخلوق هو دليل واضح وجلي على

---

(١)تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢٠١).

خالقه ومبدعه وصانعه سبحانه، قال تعالى: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوات وَالْأَرْضِ} [إبراهيم: ١٠] [١].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن دراسات الفلك الحديثة قد دلت على أن هذا الكون الذي نعيش فيه قد ولد في لحظة ما قبل بلايين السنين، ولهم على ذلك عدد من الأدلة العلمية القوية، وقد أصبحت نظرية الانفجار العظيم Big bang هي النظرية السائدة الآن لدى علماء الفلك في تفسير بداية الكون، وهذا كله مما يدحض شبهة الملاحدة القائمة على القول بأزلية الكون بمعنى أنه لا بداية له وبالتالي فلا وجود للخالق سبحانه[٢].

يقول الفيلسوف الملحد(أنطوني فلو):يقولون: إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأدلي باعتراف: إن أنموذج الانفجار الكبير شيء محرج جدا بالنسبة للملحدين !! لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية : فكرة أن للكون بداية! [٣].

المطلب الثالث: ـ نسبة النعم إليها

فالنعم مصدرها من الله جل وعلا كما قال سبحانه: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]، ولذلك فإن نسبتها لغيره سبحانه، ونسيان وتجاهل فضله فيها: خطأ وخطيئة.

(١) أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٨٠٣،و٢/٩١٩-٩٢٣.و في مناقشة أباطيل الإلحاد ينظر كتاب: الشيوعية في الميزان لمحمد علي عبد السميع، وكتاب: صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني.

(٢) أنظر للتوسع في هذا الموضوع: الانفجار العظيم. موسوعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليوسف الحاج أحمد. ص:٣٧٥.

وهذا ما حصل من كثير من الناس، فقد نسبوا النعم لغيره سبحانه متجاهلين قدرته وفضله سبحانه. ومن ذلك نسبة نعمة المطر للنجوم، فعن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب"[١].

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن نسبة نعمة المطر إلى الأنواء[٢] كفر.

وهل الكفر المذكور في الحديث الأكبر أم كفر النعمة؟ فيه احتمال.

قال الحافظ ابن حجر: وعلى الأول حمله كثير من أهل العلم، وأعلى ما وقفت عليه من ذلك كلام الشافعي، قال في الأم: من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا: فذلك كفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ومن

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (١/ ٢٩٠)، برقم: ٨١٠، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (١/ ٨٣)، برقم: ٧١.

(٢) والأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها. ومنه قوله تعالى {والقمر قدرناه منازل} ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون:مطرنا بنوء كذا.وإنما سمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا: أي نهض وطلع.وقيل: أراد بالنوء الغروب، وهو من الأضداد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٢).

قال: مطرنا بنوء كذا على معنى: مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفرا وغيره من الكلام أحب إلي منه، يعني حسما للمادة(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: قوله: "مؤمن بي وكافر" إذا اعتقد أن للنوء تأثيرا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه أشرك في الربوبية، والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سببا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمة يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء، ودل هذا الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز (٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

٢ ـ نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

٣ـ نسبة وقت، وهذه جائزة، بأن يريد بقوله: مطرنا بنوء كذا؛ أي: جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته، ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن الباء للسببية، وفي للظرفية (٣).

---

(١)فتح الباري لابن حجر ٢/ ٥٢٣.وكلام الشافعي في الأم (١/ ٢٨٨) بنحوه، وزاد فيه: أحب أن يقول مطرنا في وقت كذا. وانظر: الاستذكار (٢/ ٤٣٨).

(٢)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص: ٣٢٦.

(٣)القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٣١.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا، فأبطل ﷺ ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب، وإن كانت العادة جرت بوقوع المطر في ذلك الوقت، لكن بإرادة الله تعالى وتقديره، لا صنع للكواكب في ذلك(١).

ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الاستسقاء بالأنواء من أمر الجاهلية، فقال ﷺ: " أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة " (٢).

قال المناوي رحمه الله: (الاستسقاء بالنجوم) أي: اعتقاد أن نزول المطر بظهور كذا وهو حرام لأنه إشراك ظاهر، إذ لا فاعل إلا الله، بل متى اعتقد أن للنجم تأثيرا كفر(٣).

المطلب الرابع: ـ الاعتقاد المتوهم في دلالتها على ما يقع في الأرض من أحداث أو تأثيرها في ذلك

وهذا الموضوع ينبغي التفصيل فيه: فإن الله سبحانه قد جعل النجوم علامات يهتدى بها كما قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[الأَنْعَام: ٩٧] وقال سبحانه:{وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}النحل: ١٦.

كما أن الله تعالى مكن الإنسان بواسطة دراسة علم الفلك والأرصاد من معرفة وتوقع أوقات نزول الأمطار وهبوب الرياح وتغير الفصول

(١) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٥٩.
(٢)صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤).
(٣)فيض القدير (١/ ٤٦٢).

ونحو ذلك، فهذا لا إشكال فيه، وهو علم صحيح يدرس حاليا في المؤسسات التعليمية، وهو عبارة عن دراسة لسنن الله تعالى في المناخ وعلوم الأرصاد.

وهذا ما يسميه بعض أهل العلم بعلم التسيير، أي دراسة سير الكواكب فهذا لا إشكال فيه.

وقد قرر العلماء رحمهم الله جواز هذا العلم، ومنهم الحافظ الخطيب البغدادي حيث قال: سأل سائل عن النجوم: هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟ ...... فأقول: إن علم النجوم يشتمل على ضربين: أحدهما مباح، وتعلمه فضيلة. والآخر محظور، والنظر فيه مكروه.

فأما الضرب الأول [وهو المباح]: فهو العلم بأسماء الكواكب، ومناظرها، ومطالعها، ومساقطها، وسيرها، والاهتداء بها، وانتقال العرب عن مياهها لأوقاتها، وتخيرهم الأزمان لنتاج مواشيها، وضرابهم الفحول، ومعرفتهم بالأمطار على اختلافها، واستدلالهم على محمودها ومذمومها، والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم، ومعرفة مواقيت الصلاة، وساعات الليل بظهورها وأفولها، وقد جاء كثير من ذلك في كتاب الله عز وجل، وفي الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أخيار الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من العلماء الخالفين[1].

---

(١)القول في علم النجوم للخطيب البغدادي (ص: ١٢٦) بتصرف يسير. ثم ذكر النوع المحظور من العلم المنسوب للنجوم فقال(ص: ١٦٨): وأما الضرب الثاني، وهو المحظور، فهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام. وذكر الآثار في النهي عنه، وضرب له أمثلة، مثل دعوى المنجمين أن النجوم فاعلة مدبرة، وأنها تسعد وتنحس، وأن ما يكون في العالم من حادث فهو بحركات النجوم، ونحو ذلك.

وإنما الإشكال والخطأ جاء من توهم كثير من الناس دلالة النجوم والكواكب على ما يجري في الأرض من أحوال الناس، وأسوأ من ذلك اعتقاد تأثير النجوم في تلك الحوادث [وهو ما يسمى بعلم التأثير]. ومن أصول الأباطيل في هذا الباب:

أ ـ اعتقاد تغير أحوالها بسبب ما يقع من أحداث في الأرض

فقد انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، فظن بعض الناس إنها كسفت لموته، فأوضح النبي ﷺ خطأ هذا الظن، وبين أن هذه الظاهرة من أفعال الله تعالى التي يحدثها تخويفا لعباده من معصيته، وبيانا لقدرته تعالى على تغيير نظام الكون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما، فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي»(١).

ومن ذلك ما كان يظنه الناس في الجاهلية أن رمي الشهب سببه ولادة رجل عظيم أو موته، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم السبب الصحيح لذلك، وأنه رمي للشياطين التي تحاول استراق السمع، فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا؟" قالوا: الله

(١)صحيح البخاري (١/ ٣٦٠)، برقم: ١٠١١ ، كتاب الكسوف، باب الدعاء في الخسوف، عن المغيرة بن شعبة، وروى الحادثة مسلم في صحيحه(٢/ ٦٢٣)، برقم: ٩٠٤ من حديث جابر، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون "(١).

ب ـ علم التنجيم

وهو نوع من توقع معلومات عما سيقع في الأرض من أحداث ووقائع للناس، عبر النظر في النجوم والكواكب، لكن بطريقة خاطئة لا تمت للعلم بصلة، وذلك كاعتقاد وقوع مصيبة لفلان أو سعادة لآخر ونحو ذلك، بحسب حركات النجوم والكواكب.

ومثال ذلك: القول مثلا بأن من كان برجه الحمل [أي: ولد في برج الحمل] فإنه سيكون سعيدا في هذا الشهر أو الأسبوع أو عكس ذلك، وهذا ما يسمى بالتنجيم وهو النظر في النجوم لأجل استنباط مثل هذه الأوهام(٢).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧٥٠،برقم: ٢٢٢٩ ، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ومسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٣٧٣)، برقم: ١٨٨٣.

(٢)أنظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥١٩)،ومعارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٦٢)،ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٠٧) .

وقد روى عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من اقتبس علما من النجوم، اقتبس شعبة من سحر، ما زاد زاد، وما زاد زاد "(١).

فالعلم المنهي عن أخذه من النظر في النجوم هو مثل تلك الترهات(٢).

وهكذا كل ما ورد من التحذير عن التصديق بالنجوم والنظر فيها، فهو محمول على هذا النوع المذموم الذي هو نوع من التخرص والإفك(٣).

وعلة النهي والتحريم في هذه المسألة يعود إلى أمرين:

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ٤١) واللفظ له، برقم: ٢٨٤٠، وسنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، أبواب الأدب، باب تعلم النجوم، (٤/ ٦٧٠)، برقم: ٣٧٢٦ ، وسنن أبي داود ت الأرنؤوط، أول كتاب الطب، باب النظر في النجوم، (٦/ ٥١)، برقم: ٣٩٠٥ ، وصحح إسناده، وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٤٩).

(٢)أنظر لشرح الحديث: شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٣)، وشرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٩١)، وفيه من الإشكال اعتبارهم أن استفادة وتوقع أوقات نزول الأمطار وهبوب الرياح وتغير الفصول من النظر في سير الكواكب محرم، وعذرهم رحمهم الله في ذلك أن المعارف العلمية في عصرهم لم تكن قد تقدمت، بحيث يعلمون أن معرفة وتوقع أوقات نزول الأمطار وهبوب الرياح وتغير الفصول إنما هو من النظر المباح في ذلك تماما كالاستدلال بالنجوم على الجهات كجهة القبلة وغيرها، فهو علم صحيح لا يلحقه الذم. قال الشيخ الألباني رحمه الله: قلت: ومن ذلك عندي التنبؤ بنزول المطر، وتساقط الثلج، وهبوب الرياح، ونحوها، فإن لمعرفة ذلك اليوم موازين دقيقة سخرها الله للناس في هذا الزمان، مثل الساعات التي يعرف بها الوقت، فلا علاقة لذلك البتة بعلم النجوم المذموم. موسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ٨٩١). وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٢٠).

(٣)أنظر بعض الآثار الواردة في ذلك في معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٦٢)، والغالب عليها الضعف، ولذلك لم أوردها، وكذلك أنظر: القول في علم النجوم للخطيب البغدادي (ص: ١٦٨ وما بعدها).

أولهما: ـ ما فيه من دعاوى علم الغيبيات بلا برهان من شرع أو عقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن المنجمين: خاطبتهم بدمشق وحضر عندي رؤساؤهم. وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة(١).

وثانيهما: ما فيه من إسناد التأثير للنجوم والكواكب لمن اعتقد ذلك فيها، وهو نوع من أنواع الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واعتقاد المعتقد أن نجما من النجوم السبعة هو المتولي لسعده ونحسه اعتقاد فاسد، وأن اعتقد أنه هو المدبر له فهو كافر، وكذلك إن انضم إلى ذلك دعاؤه والاستعانة به كان كفرا وشركا محضا(٢).

وقد بين نبي الله صلى الله عليه وسلم الطريقة التي يستطيع بها بعض الكهنة أو السحرة الإخبار عن بعض الغيوب المستقبلية، وبين كيف يستغلون ذلك للكذب الكثير والدجل على الناس، وذلك عبر محاولة الشياطين لاستراق السمع من السماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: {الحق، وهو العلي الكبير}، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٢.

(٢)مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٧.

– ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء " [(١)].

وقالت أم المؤمنين عائشة: سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة"(٢).

ولقد أجاد الإمام ابن القيم رحمه الله وأفاض في دحض أباطيل أهل التنجيم وضلالاتهم في كتابه القيم "مفتاح دار السعادة"، ومن ذلك أنه ذكر عددا من الوقائع التاريخية الشهيرة التي حكم بها المنجمون وقرروا فيها نتائج معينة بناءً على مايستنبطونه من صناعة التنجيم، ثم تبين بطلان وكذب ذلك بوقوع عكس ماقرروه تماما[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة سبأ (٤/ ١٨٠٤)، برقم: ٤٥٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الكهانة (٥/ ٢١٧٣)، برقم: ٥٤٢٩ ، و صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/ ١٧٥٠)، برقم: ٢٢٢٨.

(٣) أنظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ١٣٥ وما بعدها)، ومن ذلك وقعة عمورية التي انتصر فيها الخليفة المعتصم على أعدائه من الروم بعد أن كان المنجم قد حكم بهزيمته، حتى قال الشاعر أبو تمام قصيدته الشهيرة في ذلك ومنها:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حـــده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما ... صـــاغوه من زخرف منها ومن كذب

=

واختم هذا المطلب بفتوى لشيخ الإسلام رحمه الله حول موضوع التنجيم يظهر منها أثر هذا الباطل في حياة الناس، حيث يقول:

وصناعة " التنجيم " التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل قال الله تعالى: {ولا يفلح الساحر حيث أتى} وقال: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت} قال عمر وغيره: الجبت السحر. وروى أبو داود في سننه بإسناد حسن عن قبيصة بن مخارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " العيافة والطرق والطيرة من الجبت " قال عوف راوي الحديث: العيافة زجر الطير؛ والطرق الخط يخط في الأرض [(١)] . وقيل بالعكس.

فإذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت؛ فكيف بالنجامة؟ وذلك أنهم يولدون الأشكال في الأرض؛ لأن ذلك متولد من أشكال الفلك. وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بإسناد صحيح

=

تخرصـــــــا وأحاديثا ملفقة .... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

عجائبا زعـــــموا الأيام تجعله ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وصيروا الأبرج العليا مرتبة ما ... كـــــــان منقلبا أو غير منقلب

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... مـا دار في فلك مـــنها وفي قطب

لو ثبتت قــط أمرا قبل موقعه ... لم يخف ما حل بالأوثان والصلب. وهي قصيدة طويلة.

(١)سنن أبي داود ت الأرنؤوط، أول كتاب الطب، باب في الخَط وزجْر الطَّير (٦/ ٥٢)، برقم: ٣٩٠٧ ، مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٢٥٦)، وقد ضعف إسناده محققو المسند.

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر؛ زاد ما زاد " [١] فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر؛ وقد قال الله تعالى: {ولا يفلح الساحر حيث أتى} وهكذا الواقع؛ فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وروى أحمد ومسلم في الصحيح؛ عن صفية بنت عبيد؛ عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما " [٢]، والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء. وعند بعضهم هو في معناه. فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول. وروى أيضا في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله إن قوما منا يأتون الكهان. قال: فلا تأتوهم "[٣] فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء وحكي ذلك عن العرب. وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالا منه فلحق به من جهة المعنى.

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثمن الكلب خبيث. ومهر البغي خبيث وحلوان الكاهن خبيث"[٤] وحلوانه الذي تسميه العامة "

---

(١) سبق تخريجه قريبا وهو صحيح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهان وإتيانهم، (٤/ ١٧٥١)، برقم: ٢٢٣٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (١/ ٣٨١)، برقم: ٥٣٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب، وحلوان الكاهن، ومهر البغي، والنهي عن بيع السنور (٣/ ١١٩٨)، برقم: ١٥٦٧.

حلاوته " ويدخل في هذا المعنى ما يعطيه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها مثل الخشبة المكتوب عليها أب ج د والضارب بالحصى ونحوهم فما يعطى هؤلاء حرام.

وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء: كالبغوي والقاضي عياض؛ وغيرهما..........إلى أن قال:

والنصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسائر الأئمة بالنهي عن ذلك أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها.

قال: وقد تبين بما ذكرناه أن الأجرة المأخوذة على ذلك والهبة والكرامة حرام على الدافع والآخذ، وأنه يحرم على الملاك والنظار والوكلاء إكراء الحوانيت المملوكة أو الموقوفة أو غيرها من هؤلاء الكفار والفساق بهذه المنفعة؛ إذا غلب على ظنهم أنهم يفعلون فيها هذا الجبت الملعون. ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة ذلك. ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات؛ أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك، وإن لم يفعل ذلك فيكفيه قوله تعالى: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه} وقوله سبحانه وتعالى: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت} فإن هؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين؛ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الصديق عنه أنه قال: " إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "(١) وأي منكر أنكر من عمل هؤلاء الأخابث؛ سوس الملك؛ وأعداء الرسل؛ وأفراخ الصابئة عباد الكواكب فهل كانت بعثة الخليل صلاة الله وسلامه عليه إمام الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء؛ فإن نمرود بن كنعان

---

(١)مسند أحمد ط الرسالة (١/ ١٧٨)وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

كان ملك هؤلاء؛ وعلماء الصابئة هم المنجمون ونحوهم وهل عبدت الأوثان في غالب الأمر إلا عن رأي هذا الصنف الخبيث الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله(١).

المطلب الخامس: اعتقاد اليهود بالتعب في حقه سبحانه عند خلق السَّمَوات والأرض

أخبر سبحانه أنه لم ينله تعب ولا إعياء من خلق السَّمَوات والأرض فقال سبحانه:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوات وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}[ق:٣٨].

قال البيضاوي رحمه الله: {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} من تعب وإعياء(٢). وقال الخازن رحمه الله: قال المفسرون: نزلت في اليهود حيث قالوا: خلق الله السَّمَوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش؛ فلذلك تركوا العمل فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم: استراح يوم السبت بقوله تعالى: {وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ} (٣).

وما نسبه المفسرون لليهود وجدته صراحة في الكتاب المقدس لديهم، فقد ورد في التوراة المحرفة في سفر الخروج ما يلي: لإنّ الرب في ستة أيام خلق السموات و الأرض و البحر و كل ما فيها، و استراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت و قدسه(٤).

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٢ـ١٩٥.

(٢) تفسير البيضاوي – (ج ٥ / ص ٢٣٢).

(٣)تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ١٩٠).

(٤) أنظر: سفر الخروج ٢٠:١١. الكتاب المقدس: النسخة اليسوعية ص:١٨٧.

قال الألوسي رحمه الله: وهذا كما قال قتادة وغيره رد على جهلة اليهود زعموا أنه تعالى شأنه بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت ... سبحانه وتعالى عما يقولون علوّاً كبيراً[1].

وهذا حين الانتهاء من البحث، وإني كما أحمد الله عز وجل، فإني أسأله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يجزي خيرا كل من أعانني فيه، أو سددني في قضية من قضاياه.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

(١) تفسير الألوسي – (ج ٢٦ / ص ١٩٢).

خاتمة البحث

أ ـ أهم النتائج :

١- أن لله تعالى آيات عظيمة في خلق السَّمَوات وأجرام الفضاء من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والشهب، وقد تحدث القرآن والسنة باستفاضةٍ عن ذلك، وعن بعض الظواهر المتعلقة بها.

٢- أن حديث الكتاب والسنة عن السموات وأجرام الفضاء كان لمحورين اعتقاديين رئيسين:

أولهما: الاستدلال على الله تعالى ووحدانية وعدد من صفاته العظيمة، ويتجلى ذلك في ثلاثة أمور:

أ) وجود الله تعالى الخالق ، إذ يستحيل وجود هذه المخلوقات وما فيها من إبداع بلا خالق قدير مدبرٍ عليم.

ب) التعرف على عدد من صفاته تعالى المتعلقة بهذا الموضوع : كصفة القدرة والعلم والإرادة والخبرة والحكمة والرحمة والإنعام وغير ذلك ،فما فيها من الإحكام يدل على الحكمة ، وما فيها من بديع التصميم الدقيق المتقن يدل على العلم والقدرة والإبداع، وهكذا .

ج) التوجيه إلى بيان الغاية من معرفة ودراسة هذه الآيات ألا وهي: إخلاص العبادة لله جل وعلا الذي سخر هذه الآيات لتكون دليلا قاطعا على استحقاقه سبحانه للعبادة دون من سواه.

ثانيهما: نفي الأباطيل المتوهمة في السمآء وأجرام الفضاء.

٣- أن الأمر بالنظر في الكون وما فيه من أجرام الفضاء ، كالشمس والقمر والنجوم والكواكب: أصل في باب الإيمان بالله جل وعلا، لكونه يقود إلى معرفة الخالق سبحانه ووحدانيته، وبالتالي عبادته سبحانه ودون ما سواه .

٤- أن دراسة آيات الله تعالى في السماء والكون وملاحظة ما فيها: يسهم في دحض بعض شبهات الإلحاد القائمة على مبدأ أزلية الكون ، أو مبدأ الصدفة والعشوائية ، أو مبدأ تأليه الطبيعة .

٥- معرفة عدد من الحِكَم من خلق السَّمَوات وأجرام الكون من النجوم والمجرات، وأنها زينة السماء الدنيا، ولقيام مبادئ حساب الزمن وعلم التقويم، ولجعلها علامات هادية للجهات، ورجوماً لمسترقي السمع، وهذا مما ينفي ما تعلق بها من الأساطير والأوهام كتأليه الكواكب والنجوم أو اعتقاد تأثيرها في أحوال وممارسات بني الإنسان .

٦- أن أكثر الناس غافلون عن نعم الله العظيمة بخلق أجرام الفضاء وتسخيرها لمنافع كثيرة وكبيرة للبشرية والكائنات الحية على وجه الأرض.

٧- تفسير بعض الظواهر الكونية، ومن ذلك بيان حقيقة ظاهرتي الخسوف والكسوف، وأنهما ظاهرتان كونيتان يحدثهما الله تعالى لبيان قدرته ودفعاً لعباده لخشيته والحذر من معصيته، وذلك لا يتعارض مع إمكانية التنبؤ بحدوثهما ومعرفة وقته على وجه دقيق.

٨- أن تفسير ظاهرة رمي الشهب مما لا تدرك تفسيره علوم الفلك والعقول البشرية، وتفسيره ذكر في نصوص الوحيين، التي بينت أنه رجم لمسترقي السمع.

٩- أن النصوص الشرعية قد احتوت على بيان عددٍ من الأصول الهامة في علم الفلك والتقويم .

١٠- أن النصوص القرآنية قد احتوت على عدد من الحقائق النهائية في علم الفلك، والتي كانت مثار جدلٍ طويل ونظريات متعددة بين الناس عامة وعلماء الفلك خاصةً، مثل حقيقة بداية الكون، وتفاصيل بدء الخلق.

١١- أن جميع ما ذكر في الكتاب والسنة عن السماء وأجرام الفضاء يتطابق مع الحقائق العلمية القطعية، وهذا يدل على مصدره الإلهي العظيم [١].

١٢- أن الدراسات الفلكية تحتوي على الكثير من الدلالات الإيمانية الهامة؛ بحيث تعتبر رفداً مهماً للدراسات الإيمانية في العقيدة الإسلامية ، ومنتجعاً خصباً للدعوة إلى الله تعالى في أوساط المسلمين وغيرهم .

١٣- أن هناك تقصيرا في استخدام هذه البينات في تعليم العقيدة الإسلامية، وفي الدعوة الإسلامية، رغم حديث القرآن والسنة المستفيض فيها.

١٤- أن نصوص الكتاب والسنة قد حذرت من كثير من الأباطيل التي ألحقها كثير من الناس بهذه الآيات الكونية ومن ذلك تقديسها وعبادتها من دون الله تعالى، أو التعلق بالترهات المنسوجة حولها، كأباطيل المنجمين والكهنة والعرافين والسحرة ونحو ذلك.

---

(١) وقد اطلعت وقرأت الكتاب الذي ألفه الدكتور موريس بوكاي المسمى: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، يقرر فيه هذه الحقيقة نتيجة دراسة مستفيضة للكتب الثلاثة، تبين فيها له وتأكد مكانة القرآن الكريم ومصدره الإلهي العظيم في هذا السياق العلمي، بخلاف التوراة والإنجيل [الكتاب المقدس] الذي نالته يد التحريف، مع كون أصله إلهيا أيضا.

١٥- أن الأباطيل والترهات المتعلقة بالسماء وأجرام الفضاء كثيرة ومستمرة قديما وحديثا مع الأسف، وهنا يبرز دور العلماء والدعاة والمؤسسات التعليمية في الكشف والتحذير من هذه الأباطيل.

١٦- أن علماء المسلمين كان لهم من الإبداع في تحليل النصوص، وربطها بعلوم الفلك المتوافرة لديهم ما يقتضي إجلال وإكبار تلك العقليات المبدعة.

ب ـ أهم التوصيات :-

١- أوصى العلماء والدعاة ورواد الفكر الإسلامي بالاستفادة من الدراسات الإيمانية العقدية في هذا الموضوع، في مجالات التربية الإيمانية للمسلمين، وفي دعوة غير المسلمين كذلك.

٢- أوصي أساتذة علوم الفلك والأرصاد بالاستفادة من الدلالات الإيمانية في هذه العلوم عند تدريسها في مراحل التعليم المختلفة .

٣- كما أوصي قيادات مناهج التعليم الأساسي والعالي بتضمين هذه الدراسات والدلالات الإيمانية في مناهج مواد علوم الفلك والفضاء والأرصاد والجيولوجيا ونحو ذلك .

٤- كما أوصي قيادات الإعلام العربي والإسلامي بالاستفادة من مثل هذه الدراسات الإيمانية في برامجها المقروءة والمرئية ضمن القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت والصحافة وغير ذلك .

والله الموفق ،،

المصــادر والمـراجـــع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المؤلفات

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع: بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م.

٢. الأعلام للزركلي: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٤. الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان.

٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي . تحقيق مجموعة من المحققين،الناشر : دار الهداية.

٧. التبيان في أقسام القرآن : المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، الناشر : دار الفكر.
٨. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٩. تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المحقق : سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
١٠. تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
١١. تفسير البحر المحيط. المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ٤٢٢ هـ الطبعة : الأولى . تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد.
١٢. تفسير البيضاوي : دار النشر : دار الفكر – بيروت.
١٣. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر : دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.
١٤. تفسير الرازي : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

١٥. تفسير السراج المنير، المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني: شمس الدين دار الكتب العلمية . بيروت.
١٦. تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ.
١٧. تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن .المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر ،الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ .
١٨. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، أعاد طبعه دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٩. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط. الثانية ١٤١٥ هـ .
٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر : دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م.
٢١. د دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م
٢٢. سنن الترمذي، الكتاب : الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٣. سنن ابن ماجه المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٤. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية.
٢٥. شرح السنة للبغوي . محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٦. شرح العقيدة الطحاوية ،المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٧. شرح المشكاة للطيبي المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)،المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٨. شرح صحيح مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٩. الشيوعية في الميزان، المؤلف: محمد علي عبد السميع، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م.
٣٠. صحيح البخاري: الجامع الصحيح المختصر . المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . الناشر: دار ابن كثير ، اليمامة– بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧. تحقيق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة– جامعة دمشق.
٣١. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، الناشر: المكتب الإسلامي.
٣٢. صحيح مسلم: المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٣. صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٣٤. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، دار العاصمة – الرياض ،الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨،تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله.
٣٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.
٣٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت .
٣٨. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
٣٩. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري :ضمن معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، شوال ١٤١٢هـ.
٤٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي ،الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ.
٤١. القرآن وإعجازه العلمي ، المؤلف: محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة.
٤٢. القول في علم النجوم ، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، الناشر: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٤٣. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٤٤. كتاب الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري.

٤٥. الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، دار المشرق ش.م.م. بيروت لبنان. ط.الثالثة عام ١٩٩٤.

٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

٤٧. الكون والرؤية العلمية فى القرآن والأديان السماوية الأخرى –دراسة مقارنة رسالة ماجستير: أشرف أحمد محمد محمد عماشة.

٤٨. لسان العرب :المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط.٣ عام ١٤١٤هـ.

٤٩. ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان . محمود شكري الآلوسي تحقيق زهير الشاويش . الناشر المكتب الاسلامي . سنة النشر ١٣٩١هـ– ١٩٧١م.

٥٠. مجموع فتاوى ابن تيمية: / دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض / ١٤١٢هـ .

٥١. المحرر الوجيز المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار

الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٥٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٥٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٥٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول، المؤلف : حافظ بن أحمد حكمي ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ – ١٩٩٠ ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

٥٥. المعجم الوسيط: المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، مجمع اللغة العربية.

٥٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٧. مفردات ألفاظ القرآن المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني دار النشر / دار القلم . دمشق.

٥٨. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليوسف الحاج أحمد. ط.٢ مكتبة ابن حجر. دمشق عام ١٤٢٤هـ.

٥٩. موسوعة الألباني في العقيدة ، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
٦٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.
٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.
٦٢. نماذج من الآيات المشتملة على الإعجاز. كتاب إليكتروني.

ثالثا: المواقع الإليكترونية:

٦٣. موقع مرصد الأقليات المسلمة . http://aqlyat.com/news/316.
٦٤. موقع موسوعة ويكيبيديا.

الفهرس